نهر أم الربيع وأثره على المجتمع الأزموري بالمغرب الأقصى في القرنين (٩-١٠هـ / ١٥-١٦م)(*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/أشرف سمير توفيق محمد
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية دار العلوم، جامعة المنيا

الملخص :

تعتبر للمياه أصل الحضارات ومهد النمو والأزدهار حيث تنشأ المجتمعات البشرية وتنشط وتقترن حياتها ونموها باستمرار توافرها، ولذا فان مياه الانهار ساهمت في ازدهار كثير من المدن علي ضفافها حيث حققت الرفاهية والتحضر للشعوب القاطنة حول وديانها، فأضحت مكونا من مكونات ثقافة المجتمع التي تشكل ملامح تلك المدن، ومن الأنهار التي اسهمت بشكل فاعل في ازدهار مدنها وكانت سببا في إحداث انتعاشة اقتصادية لها نهر ام الربيع الواقع في المغرب الأقصي والذي يعد القلب النابض لمدينة أزمور الواقعة علي المحيط الاطلنطي ومدينة المصب لهذا النهر.

وتهدف الدراسة إلي بيان أثر نهر ام الربيع علي المجتمع الأزموري خلال القرنين٩-١٠هـ/١٥-١٦م. وقسمت الدراسة الي تمهيد وأربعة محاور وخاتمة.

جاءالتمهيد: ليحدد موقع نهرام الربيع جغرافيا بالنسبة لمدينة أزمور، وتناول المحور الأول : تأثير نهر أم الربيع علي اقتصاد أزمور في كافة الأنشطة من مجال فلاحي وحرفي وصيد للاسماك وأخيرا التجارة، وساهم المحور الثاني في إظهار أثر نهر أم الربيع علي الجانب العلمي والثقافي لمدينة أزمور حتي اضحت مركزا علميا مهما ومزارا للمتصوفة، ثم أوضح المحور الثالث: التأثير الاجتماعي للنهر علي سكان أزمور ومدي تحسن مستوي

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٥)، يوليو ٢٠٢١.

معيشتهم والتحول الذي طرأ علي عقليتهم واخلاقهم وعاداتهم، وتناول المحور الرابع: الآثار السياسية لنهر أم الربيع علي أزمور حيث أصبحت مطمعا للبرتغاليين، وفي الخاتمة استخلصت أهم النتائج والتوصيات المقترحة.

الكلمات المفتاحية: نهر ام الربيع، أزمور، سمك الشابل، التجارة، البرتغاليون.

The Umm al-Rabi` River and its Impact on the Azmorite Society in the Far Maghreb in the Two Centuries (9,10AH/16,15AD)

Abstract:

Water is considered the origin of civilizations and the cradle of growth Prosperity is where human societies arise and become active, and their life and growth are associated with their continuous availability. Therefore, river water contributed to the prosperity of many cities on their banks, where they achieved prosperity and urbanization for the peoples living around their valleys, so they became a component of the components of the culture of society that constitute the features of those cities. Among the rivers that actively contributed to the prosperity of their cities. It was the cause of an economic boom in the Umm al-Rabi` river, which is located in the Far Maghreb, which is the beating heart of the city of Azemmour, located on the Atlantic Ocean and the downstream city of this river.

The study was divided into an introduction, four axes and a conclusion. The preamble came to determine the geographical location of Nahram al-Rabi` in relation to the city of Azemmour. The first axis dealt with the impact of the Umm al-Rabi` River on the economy of Azemmour in all activities from the field of agriculture, craftsmen, fishing and finally trade. Then the third axis clarified the social impact of the river on the residents of Azemmour, the improvement of their standard of living and the transformation that took place in their mentality, morals and customs. The fourth axis dealt with the political effects of the Umm al-Rabi` river on Azemmour, where it became coveted by the Portuguese.

Keywords: Um Rabia River, Azemmour, Shabelle fish, trade, the Portuguese

المقدمة :

تعتبر المياه أصل الحضارات، ومهد النمو والازدهار حيث تنشأ المجتمعات البشرية وتنشط وتقترن حياتها ونموها باستمرار توافرها، لذا فإن المياه أسهمت بشكل واضح في المسيرة الإنسانية، وكانت عاملًا مهمًا في استقطاب الأفراد والجماعات، مما ساهم في ظهور المجتمعات وانبعاث حضارتها وتقدمها، ولقد أشار ابن خلدون[١] إلى تلك الحقيقة، فأوضح أن العمران البشري غالبا ما يتكون إلى جوار أودية الأنهار كما هو الشأن مع حضارة المصريين التي نشأت علي ضفاف نهر النيل، وحضارة الكلدانيين، والسومريين، والبابليين التي استمدت خلودها بفضل نهري دجلة والفرات، وغيرها من حضارات الأنهار في أفريقيا وأوربا.

وساهمت مياه الأنهار في ازدهار كثير من المدن على ضفافها، حيث حققت الرفاهية والتحضر للشعوب القاطنة حول وديانها، فأضحت مكونا من مكونات ثقافة المجتمع التي تشكل ملامح تلك المدن، وبقدر ما شكلته مياه الأنهار من نقطة التقاء وتواصل بين المجتمعات المختلفة، نجدها أيضا عُدت أحد عوامل الصراع والحروب والمساجلات بين تلك المجتمعات، حيث أصبحت هذه النعمة هدفًا مرصودًا ومرغوبًا، وأيضًا مطمعًا لمن يريد الاستيلاء على خيرات تلك الحواضر التي توافرت حول وديان الأنهار.

ومن الأنهار التي أسهمت بشكل فاعل في ازدهار مدنها، وكانت سببًا في إحداث انتعاشة اقتصادية لها، حيث لعبت دورًا مهما في تشكيل ملامحها في كافة المجالات، وأُعتبرت المؤسس والباعث لهذه المدن: نهر أم الربيع[٢] الواقع في المغرب الأقصى، والذي يُعد القلب النابض لمدينة أزمور الواقعة على المحيط الأطلنطي، ومدينة المصب لهذا النهر، حيث منح هذا النهر أزمور رفاهية وازدهارًا في كافة أنشطتها؛ وكان له الأثر الواضح في كل مجالات الحياة بأزمور مما ترتب عليه تحسن في مستوى معيشة المجتمع الأزمورى.

الدراسات السابقة :

لقد عنيت بعض الدراسات بتناول مدينة أزمور، وتوضيح جغرافيتها وعرض ضواحي المدينةوالتعرض لأهمية موقعها المتميز من حيث إطلالتها علي المحيط الأطلنطي، كما أشارت لبعض النواحي السياسية لأزمور، ولكن لم تتناول دراسة مفصلة نهر أم الربيع الذي يعد أطول أنهار المغرب، حيث يخترق هذا النهر العديد من المدن والقري المغربية حتي يصل إلي أزمور وهي مدينة المصب لهذا النهر، وإبراز مدي تأثير نهر أم الربيع علي أزمور إذ يعد محركا لكافة أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، فضلا عن ميناء أزمور المطل علي المحيط الأطلنطي وارتباطه بنهر أم الربيع، مما سهل ربط التجارة الداخلية لكثير من بلاد المغرب الأقصي بالتجارة العالمية من خلال مصب النهر بمدينة أزمور.

خطة الدراسة:

وقد قُسمت الدراسة إلى محاور عدة لإبراز مدى تأثير نهر أم الربيع على المجتمع الأزموري وخاصة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين/الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

فجاء (التمهيد) ليحدد موقع نهر أم الربيع جغرافيا بالنسبة لمدينة أزمور، وتناول (المحور الأول)تأثير نهر أم الربيع على اقتصاد مدينة أزمور في كافة الأنشطة من: مجال فلاحي، وصناعي، وصيد الأسماك، وأخيرًا التجارة.

وساهم (المحور الثاني) في إظهار أثر نهر أم الربيع على الجانب العلمي والثقافي لمدينة أزمور، حيث أضحت أزمور مركزًا علميا مهما بدليل انتماء علماء أجلاء لها، كما كانت مزارًا للمتصوفة، فأصبحت تنافس علميًا وصوفيًا أهم الحواضر المغربية.

ثم أوضح (المحور الثالث)التأثير الاجتماعي للنهر على سكان أزمور، ومدى تحسن مستوى معيشة المجتمع الأزموري، والرفاهية التي أصبح عليها

سكانه في الحواضر والبوادي، والتحول الذي طرأ على عقلية الأزموريين وأخلاقهم وعاداتهم.

وتناول (المحور الرابع)الآثار السياسية لنهر أم الربيع على مدينة أزمور، حيث أصبحت مطمعًا للبرتغاليين؛ بسبب الانتعاش الاقتصادي الذي حظيت به المدينة؛ مما جعلها هدفًا مرصودًا للبرتغاليين للاستفادة من خيراتها، ومدى التأثير السلبي لهذا الاحتلال على مدينة أزمور وسكانها.

وفي (الخاتمة) استخلصت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات المقترحة.

التمهيد : موقع نهر أم الربيع جغرافيًا بالنسبة لأزمور:

يعد نهر أم الربيع أطول أنهار المغرب وأعظمها [٣]، وينبع هذا النهر من أحد جبال الأطلس الكبير ويسمى جبل (درن) [٤]، ويجري نحو الجنوب الغربي عبر سهول إدحسان (خنيفرة)، ثم يخترق شعابا منيعة، وبعدها يدخل سهل (تادلا) [٥]، حيث يرفده عن يساره نهر العبيد، كما يرفده بعده النهر المؤلف من وادي تيساوت، والوادي الأخضر[٦] ثم يغير النهر اتجاهه نحو الشمال الغربي مشكلًا الحدود بين سهلي تامسنا[٧] في الشمال ودكالة[٨] في الجنوب، ليصب بعد ذلك في المحيط الأطلنطي عند مدينة أزمور[٩]

ويبلغ طول نهر أم الربيع حوالي (٦٠٠ كيلومتر) [١٠]، وعبر بعض الجغرافيين المعاصرين عن هذه المسافة بأن قدروها بين منبعه ومصبه مسيرة ستة أيام تقريبًا[١١]، وما يميز نهر أم الربيع أنه أكثر أنهار المغرب انتظامًا في حجم المياه التي يصرفها خلال فصول السنة، حيث يقدر منسوبه في أعلى مستوياته إلى (١١٠م^{٣}) في الثانية[١٢]، ويصل أدنى مستوى له إلى (٤٠م^{٣}) في الثانية[١٣] تقريبًا، كما عُرف النهر بقوة تدفقه أثناء المد، حيث يمتد عرض النهر إلى ما وراء الحقول المنبسطة على الضفتين، ويشتد فيضانه في فصلي الخريف والشتاء، فيبدو شاسعًا بلا حدود[١٤]، ومن مميزاته أيضًا أنه يصب

مباشرة في المحيط الأطلنطي، حيث لا يخترق بحيرة ولا مستنقعًا[١٥] .

ولقد أشاد الجغرافيون والمؤرخون بنهر أم الربيع، فأوضح الإدريسي[١٦] مدى عنف مجراه، وأنه ليس بالمانع الذي يقهر، ويمكن عبوره بالزوارق، فيقول عنه " إنه كبير خرار، يجاز بالمراكب، سريع الجري، كثير الانحدار"، ووصفه ابن الخطيب[١٧] بأنه "واد وريف (متسع)، وتطل على واديه المنازه والمراقب؛ كأنها نجوم ثواقب، وجلت من خصبه المناقب (الطرق)، وضمن المرافق نهره المجاور وبحره المصاقب"، وأكد الحميري[١٨] على أنه واد كثير المياه والخيرات.

أما مدينة أزمور فتقع على الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، وتعتبر حاضرة اقليم دكالة[١٩]، وهي مدينة قديمة يرجع تأسيسها إلى ما قبل الميلاد المسيحي، ولها ذكر في المدن الموجودة على عهد الفينيقيين، وأسسها الأفارقة أمراء صنهاجة، بدليل اسمها الأمازيغي الذي يعني الزيتون البري[٢٠] .

وبُنيت أزمور على شكل مربع كبير، على ارتفاع يسمح لها بمراقبة النهر ومصبه، ويحيط بها سور مبني على الطريقة المغربية التقليدية، وبها ثمانون برجًا، وقصبة واحدة تشرف على النهر[٢١]، واختيار موضع أزمور الموقعهذا كان للاحتماء من فيضان النهر، والاستفادة من مائه، فضلا عن استغلال الطريق الملاحي كما درجت عليه المدن القديمة المشيدة بجوار الأنهار؛ حيث تكون في ملتقى الطرق التجارية، فجمع موقع أزمور بذلك الحماية الطبيعية، والبنائية، والعمرانية[٢٢]، لذا كانت أزمور ضرورة استراتيجية للحماية والدفاع، ومراقبة الطرق التجارية على الصفة اليسرى لوادي نهر أم الربيع، فضلًا عن اطلالتها على المحيط الأطلنطي.

ولوحظ من خلال إشارات المصادر أن لفظ أزمور لم ينحصر في دلالته على مجرد المدينة الواقعة على ضفة نهر أم الربيع اليسرى وحسب، وإنما يتسع مجالها ليشكل مركزًا حضاريا ممتدًا يشمل المدينة المعروفة، بالإضافة إلى العديد من المراكز، والقرى والبوادي والسواحل التابعة لها، واتضح ذلك من خلال كتب الرحلات، حيث نعتها بعض الرحالة ببلاد أزمور، وأحيانًا أضافوا

لها كلمة إقليم، أو أحواز، أو نظر، للدلالة على الحيز الجغرافي الواسع والممتد التابع للحاضرة أزمور[٢٣].

ولذا فإن موقع أزمور يمتد نطاقة ما بين الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، ومرسى الغيط[٢٤]، حيث يبدأ مجال بادية آسفى[٢٥]، ومن ثم فالمنطقة تضم المجال الممتد حول حاضرة أزمور، ومازغان (الجُديدة)[٢٦]، وتيط[٢٧]، ويطلق عليها اسم أزمور حسب ما يتجلى من المصادر على المدينة وساكنيها لا على باديتها فقط[٢٨]، وهذا المجال الواسع لأزمور جعلها آهلة بالسكان، حيث وصل عدد سكانها فترة الدراسة إلى ما يقارب خمسة وعشرين إلى ثلاثين ألف نسمة[٢٩].

وبموقعها المتميز على مصب نهر أم الربيع، وإطلالتها على المحيط الاطلنطي، وفر لها ميناء شهد حركة تجارية نشيطة، ساهم فيه نهر أم الربيع كمحرك لتجارة أزمور، حتى أصبحت مسيطرة على اقتصاد تلك المنطقة، كما جعلها هدفا للتجار الأوربيين، ومقصدًا للأيبريين (الإسبان والبرتغال)، وهذا الرواج التجاري جعل أزمور ضمن أهم التيارات الاقتصادية التي تزود التجار الأوربيين بما يحتاجون من سلع مهمة تنتجها المدينة وأحوازها.

أولًا : الآثار الاقتصادية لنهر أم الربيع على المجتمع الأزموري:

أ- في المجال الفلاحي (الزراعة، والثروة الحيوانية، والغابية):

توفرت لأزمور وأحوازها العديد من المعطيات الطبيعية التي جعلت منها، ومن أحوازها مناطق تتمتع بوجود فلاحة كثيفة، ويرجع ذلك لعوامل عدة منها: ارتباط أزمور وأحوازها بظهير سهلي شاسع يعد من أكبر سهول المغرب، وتربة غنية غاية في الخصوبة، فضلا عن مجال بدوي واسع وفر لها مراعي كثيرة، مما سمح لسكانها باستغلال كثيف لأراضيها المتنوعة ما بين سهل وساحل، وهذا يُعزي أولًا لنهر أم الربيع، فضلًا عن تساقطات كافية من الأمطار في حالة توزيع منتظم، مع توافر العديد من الآبار، حيث أشارت بعض المصادر البرتغالية إلي وجود بعض النواعير على الآبار في كثير من نواحي أزمور[٣٠]،

إضافة إلى العيون، والنطافي وهي حفر تحت الأرض تعمل كخزانات لحفظ مياه الأمطار[٣١].

وتعددت إشارات المصادر فترة الدراسة على وجود زراعة كثيفة في بلاد أزمور، وأن هذه المناطق كثيرة الكلأ والغلة، وأن مجالها غني جدًّا بالحبوب والمحاصيل الزراعية[٣٢] ودلل ابن الخطيب[٣٣] على أن السهل الممتد ما بين آسفي وأزمور "وطن متكاثف العمارة، أجم الماشية، حيث يبلغ عدد أزواج الثيران التي تثير الأرض، وتعالج الحرث ثلاثة آلاف زوج"، وهذا يؤكد على مدى وفرة وانبساط المساحة المزروعة بأزمور والمناطق التابعة لها، حتى اعتبر أن اقتصاد أزمور يقوم على الحرث والحصاد[٣٤]، وأكد ابن قنفذ[٣٥] صحة ما أورده ابن الخطيب بأن بلغت أزواج الثيران التي تحرث أراضي أزمور وأحوازها زمن وروده عليها في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي بحوالى عشرة آلاف، وأن من جودة وخصوبة أراضي تلك المنطقة أنها أنبتت سريعا عقب نزول المطر عليها، كما ذكر الادريسي[٣٦] ما يدل على أن المنطقة الممتدة حول نهر أم الربيع أصحابها أصحاب حرث ومواشٍ، ونعم كثيرة، وحنطة غاية في الرخص، وأيد كربخال[٣٧] ذلك بأن أزمور ونواحيها كثيرة الخصب قمحا ومرعى، وذلك يرجع لوقوع تامسنا شرقي نهر أم الربيع، وإقليم دكالة غربية، وكلاهما مناطق كثيرة الكلأ والغلة.

وحرص فلاحو أزمور على الاستفادة من كل الإمكانيات التي توافرت لها، حيث توفر لأزمور سهل وساحل كما سبق الإشارة إلى ذلك، فالسهل تميز بأن أرضه مستوية ليس بها شعاب ولا خنادق ولا جبال إلا البسائط المستوية[٣٨]، وتميز بانفساحه، وبتربته الخصبة الصالحة لمختلف أنواع الزراعات من حبوب، وبقول، وقطن وغيرها[٣٩]، أما الساحل وفر لأزمور مراعي كثيرة كانت أغلبها أدغالاً وحشائش[٤٠] فضلًا عن التلال الرملية التي تلي الساحل والتي كانت مزدرعًا للجنان والعرصات – ساحة الدور–، وبساتين الكروم والفواكه والخضر[٤١].

ويعد القمح من المحاصيل الأساسية لأزمور؛ حيث كانت تحصل على انتاج ضخم لهذا المحصول؛ يضمن لها فائضًا كبيرًا يكفي استهلاكها الداخلي، ويسمح بتصدير كميات كبيرة منه إلى الخارج، ومما يدل على وفرة هذا المحصول وصول إنتاج بعض المناطق التابعة لأزمور من محصول القمح إلى ألف حمل دابة(٤٢)، كما أُنشئت له مطامير (صوامع) عديدة خاصة لتخزينه، حتى ذُكر أن لكل منزل من منازل أزمور وأحوازها خزانًا خاصًّا لحبوبها(٤٣).

ووفرة القمح جعل من أزمور مخزنا استراتيجيا مهما للقمح(٤٤)، وأحد الأسباب التي دفعت الأزموريين لركوب البحر، واحتراف تجارته مع الإسبان والبرتغاليين(٤٥) حيث كان من السلع المهمة التي تحتاجها الدول الأوربية، وعلى رأسها الإسبان والبرتغاليين(٤٦)، ولذا أصبح ميناء أزمور من أكبر وموانئ المغرب لتجارة الحبوب(٤٧) .

ويلي محصول الشعير محصول القمح في إنتاجيته(٤٨)، أما البساتين لم تكن منتشرة إلا حول المدن والقرى، كزراعة الكروم وقليل من أشجار التين(٤٩)؛ ولذا كانت المنطقة تستورد الفواكه من الأندلس والبرتغال مقابل تصديرها للقمح والشعير(٥٠) كما عرفت أزمور زراعة القطن، وقصب السكر والكمون على جانبي وادي نهر أم الربيع(٥١).

أما عن الثروة الحيوانية بأزمور، لوحظ أنه لا يمكن التمييز بين المزارعين ومربي الماشية، حيث يعد تربية المواشي بأزمور نشاطًا ملازما للزراعة، وأشارت المصادر إلى كثرة المواشي والأغنام بأزمور وأحوازها؛ وذلك لوفرة المراعي، ووجود العديد من الغابات الرعوية الصالحة لتربية الأغنام والمواشي بجوار نهر أم الربيع(٥٢)، حيث كانت أزمور"تغوص على انفساح تكثر فيه الراغية (الشاة)، والثاغية (الناقة)، والصاهلة، والناهقة"(٥٣)، فضلًا عن الآلاف من الثيران المستخدمة في حرث الأرض وحصادها(٥٤).

ومما يدل على وفرة الثروة الحيوانية بأزمور وأحوازها، يذكر أن قرية بولعوان– من قرى أزمور – عُرف أهلها بالغنى بما يمتلكونه من مواشٍ، حيث

حُصر لكل فرد من سكانها " مائة زوج من الثيران أو أقل أو أكثر "[٥٥]، وكذلك عُرف عن تمراكشت– من قرى تامسنا– وترغا أيضًا أن أراضيهم مرعى يتنقل بها الأعراب بمواشيهم؛ لكثرة البوادي بها[٥٦]، كما أكدت الوثائق البرتغالية على وفرة أزمور من المواشي والأغنام، وذلك من خلال أعداد الغنائم التي حصلوا عليها إثر كل غارة على أزمور وأحوازها[٥٧] وترتب على هذه الوفرة من الحيوانات الكثير من الألبان والأسمان، والنعم الكثيرة[٥٨]

كما نتج عن كثرة الغابات ببعض أحواز أزمور وساحلها، وجود بعض الحيوانات والطيور غير المستأنسة، فيذكر أن هناك غيضة كبيرة جنوب وادي أم الربيع يكثر بها الأسود[٥٩] كما اشتهرت قرية (أنكال)القريبة من وادي أم الربيع بكثرة المواشي والإبل والأغنام والأبقار، فضلا عن كثرة طائر النعام بها، حيث يعد بالآلاف والأهالي يصيدونها طردًا بالخيل[٦٠]، أما منطقة تامسنا (الشاوية)عُرفت بماشيتها وخيولها[٦١]، وكذلك المدينة الغربية كان البرتغاليون يفضلون اقتناء خيولها[٦٢].

وارتبط بالنشاط الفلاحي توافر النحل، وكثرة إنتاج العسل والشمع، حيث انتشرت خلايا النحل في كل مكان على طول نهر أم الربيع، في تجاويف الأشجار، وشقوق الصخور وغيرها، وبلغ من كثرة إنتاج المنطقة لعسل النحل أنه أحيانًا يُستخرج من خلية واحدة ما يعادل (١٥٠ رطلًا)، واشتهرت قرية (السُبيت)بكثرة إنتاجها للعسل والشمع[٦٣]، مما سمح لها بتجارة حيوية فيه سواء داخليا مع مراكش، أو خارجيا مع الدول الأوربية، حيث حرص تجار أوربا على شراء عسل تلك المنطقة لجودته،وقيمته الغذائية المرتفعة، مما سمح للمنطقة بعائدات ومداخيل مهمة[٦٤] .

وهذه الوفرة في الإنتاج الفلاحي لأزمور وأحوازها سواء في الحبوب، أو الثورة الحيوانية من مواشٍ وأغنام، وكذلك عسل النحل والشمع أدت إلى رخص الأسعار"، حيث إن كل شيء من المأكولات كانت تباع بأيسر القيم، وأوهن الثمن "[٦٥]، كما سمحت هذه القاعدة الإنتاجية الفلاحية الضخمة بأن تدخل المدينة في صلات تجارية مع محيطها الداخلي والخارجي.

ب- في مجال الصيد النهري والبحري :

ومن أهم تأثيرات نهر أم الربيع على أزمور وساكنيها، ما حباه هذا النهر لها من مجال صيد غني، وخاصة لنوع تميزت به أزمور عن سائر مدن المغرب، وهو سمك الشابل[٦٦]الذي ارتبط اسمه باسم أزمور، حتى إنه كان يقال عليه سمك مولاي بوشعيب، ولتميزه في مذاقه المختلف عن مذاقات أنواع الشابل الأخرى في أنهار المغرب كوادي سبو، ونهر أبي رقراق[٦٧] أصبح من الأصناف العالمية الراقية التي يقبل عليها التجار الأوربيون بشكل كبير[٦٨] .

وساق ابن الخطيب[٦٩] ملاحظته عن شابل أزمور قائلًا: "إن أزمور بلد به الشابل ليس له شبيه"، ويُصطاد من نهر أم الربيع كميات هائلة منه تتجاوز المألوف، ولوفرته كان يباع بأرخص الأثمان رغم جودته وتميزه [٧٠]، وكان التجار والصيادون يرصدون مواعيد صيده من بداية موسم الخريف وتساقط الأمطار، حيث يبدأ هذا الموسم من أكتوبر، وينتهي في شهر أبريل بحلول الربيع[٧١]، فيشد التجار والصيادون رحالهم إلى أزمور؛ لصيده أو شرائه لإعادة تسويقه في مدنهم، كما يذكر أنه كان يبتاع من خلال موسم صيده حوالي (١٥٠,٠٠٠)شابلة كل شهر، كما أكدت الوثائق البرتغالية ذلك من خلال الإيصالات المتعلقة بأزمور، بأن مخازنهم استخلصت ما بين عامي ٩٢٠ : ٩٢٣هـ / ١٥١٤: ١٥١٧م ما يعادل (٢٦٥,١٠٨)ريال من الضرائب على صيده وتجارته[٧٢]، وهذا يوضح مدى وفرة سمك الشابل المصطاد من نهر أم الربيع، والذي ضمن للمدينة عائدات ضخمة سواء بصيده أو تجارته.

ويعد شهر يناير أفضل الأوقات لصيده، حيث يأخذ ثمنه في الارتفاع، ولذا يقال في أمثالهم : "شابل يناير يأكله أصحاب الشكاير"؛ أي الأغنياء، أما الشابل الذي يُصطاد في آخر الموسم في مارس وإبريل يقل ثمنه، فيقال عنه "شابل مارس يأكله الدراويش"؛ أي الفقراء[٧٣] .

وشهرة هذا الصنف من الأسماك جعلت أزمور في إطار التجارة العالمية، وأصبح على رأس صادراتها إلى المدن الداخلية المغربية كفاس ومراكش، فضلا

أنه كان يصدر منه كميات كبيرة إلى التجار الأوربيين وخاصة الأندلسيين والبرتغاليين(٧٤)، وأصبحت الضرائب المؤداة عنه تضمن لأزمور ازدهارًا كبيرًا ودخلًا هائلًا(٧٥)

كما ارتبطت معه صناعات عدة، فضلًا عن استخراج الزيوت منه، حيث كان يحوي على كثير من الشحم، لدرجة أن الشابلة الواحدة تخرج أكثر من رطل ونصف الرطل من الزيت، ويتجمع هذا الزيت ويستخدمونه في استصباح – إضاءة – المنازل، حيث لم يكن لهذه المنطقة وفرة في الزيوت المستخدمة للإضاءة(٧٦).

وأضحى هذا الشابل من مكونات أزمور التاريخية والثقافية، وصار من طقوس المدينة وعادات أهلها، بل أصبح مكونًا رئيسيًّا في تنويع وتشكيل مطبخها، وساهم في تشكيل تفكيرها وخيالها وملامحها(٧٧)، وأصبح من أهم أطعمة أزمور، بل بات من مستلزمات الترحيب بالضيف أن يقدم له هذا النوع من السمك(٧٨)، كما تأثرت البيوت الأزمورية التي كانت تخزن هذا الشابل لحين بيعه، بأن يستلزم تجييرها من الداخل والخارج؛ لطرد الروائح غير المستحبة والجراثيم التي تتخلف عن تخزين سمك الشابل(٧٩).

ولوقوع أزمور على ساحل المحيط الأطلنطي، كان لصيد البحر دور في تغذية سكانها في بعض أحوازها، فنجد في رباط تيط عُد الحوت من الوجبات الغذائية الرئيسية(٨٠)، كذلك استخرج سكان أزمور من البحر المحيط عدة فواكة بحرية(٨١)، واستخدمت الشباك والقصاب في عمليات الصيد(٨٢).

ج–في المجال الصناعي :

ترتب على النشاط الفلاحي، وصيد أسماك الشابل من نهر أم الربيع، قيام عدة حرف اشتهرت بها أزمور، مما أدى إلى حدوث اكتفاء ذاتي بالحاضرة وببواديها خاصة في الحرف اليدوية، مثل الأواني، والثياب، والأفرشة، كما غلب على معظم هذه الحرف طابع التصدير للخارج؛ لجودتها وتميزها (٨٣).

وعلى رأس هذه الحرف، صناعة الأنسجة الصوفية، وذلك راجع لتوافر

تربية الأغنام ببواديها[٨٤]، حيث تنوعت هذه الصناعة فمنها الحائك أو الكسوة[٨٥]، ومنها ما يعرف باسم الجلباب[٨٦] كما اشتهرت بنوع ثالث من المنتجات الصوفية، وهو ما يعرف بالحنابل أو العبائن[٨٧]، وتعتبر هذه الصناعات من أهم صناعات أزمور، وكانت تنافس جارتها آسفي في هذه الصناعة، وتلقي رواجًا تجاريًّا لدى البرتغاليين[٨٨].

ومن حرف سكان أزمور والتي اعتمدت على جلود الأبقار، دبغ الجلود وصناعتها، حيث يذكر أن هذه الجلود المدبوغة، منها العادي، ومنها الملمع، وكانت هذه الجلود المدبوغة من أهم المنتجات التصديرية لأوربا وأيبريا[٨٩].

كما قامت على أسماك الشابل عدة صناعات، منها صناعة المراكب المستخدمة في الصيد، وإصلاحها وتجهيزها[٩٠]، وكذلك صناعة تجفيف السمك وتمليحه، حيث كانت الكميات التي يتم صيدها تطرح على الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، ويأتي الشراحون وهم رجال يقومون بتشريح الشابل من جهة الظهر وتمليحه، ثم يحمل على الدواب أو السفن، فمنه يذهب للاستهلاك المحلي، ومنه ما يصدر للخارج[٩١]، فضلًا عن صناعة استخراج الزيوت من الشابل؛ لاستخدامه في إضاءة المنازل[٩٢].

كما دلت بعض الإشارات عن وجود صناعة الفخار والخزف بأزمور، فسيدي وعدود[٩٣] والذي يوجد ضريحه قرب أزمور كان صانعًا للفخار لأبي عبدالله أمغار[٩٤]، وتمركزت هذه الصناعة خارج المدارات الحضارية المسكونة للمدينة، حيث كانت تقع بالقرب من أسوار المدينة أو خارجها في الجهة الجنوبية، وذلك لقربها من نهر أم الربيع؛ ليسهل استخراج الطمي من النهر المستخدم في تلك الصناعة، كما دلت بعض الاكتشافات الأثرية للمنطقة على وجود آثار لأفران صناعة الفخار في الجنوب الشرقي لأسوار أزمور[٩٥]، عرفت أزمور أيضًا صناعة الصابون والشمع[٩٦]، كما أشارت وثيقة برتغالية على وجود صناعة للأساور والأقراط بأزمور[٩٧].

د- **في المجال التجاري :**

شهدت أزمور رواجًا تجاريا كبيرًا منذ النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث اشارت المصادر إلى وصول تجار جنوا، وكتالونيا، وفرنسا، وأيبريا إلى موانئ المغرب ونزول عدد منهم على طول السواحل الأطلسية، ومنهاميناء أزمور(٩٨)، ويرجع إقبال التجار الأوربيين على ميناء أزمور لما تنتجه المدينة وأحوازها، والمناطق القريبة منها من سلع ومنتجات لاقت رواجا وإقبالا لديهم، حيث تزاحم تجار أوربا بميناء أزمور للمقايضة، والبيع والشراء في تلك المنتجات التي تطلب في مدنهم.(٩٩)

كما ساهم احتلال البرتغاليين للعديد من وموانئ المغرب الشمالية كسبتة سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م(١٠٠) وأصيلا(١٠١) وأنفا(١٠٢) سنة٨٧٦هـ/١٤٧١م على إقبال التجار على ميناء أزمور(١٠٣)، فتحولت الطرق التجارية الداخلية لإقليم دكالة نحو الموانئ الأطلسية (أزمور – آسفي) التي لم تسقط بعد في أيدي البرتغاليين.

وأصبحت وموانئ دكالة وعلى رأسها أزمور من أهم المنافذ التجارية لدى الأوروبيين، حيث فتح هؤلاء التجار لميناء أزمور آفاق جديدة لمنتجاتها المحلية، وخاصة بعد تخريب ميناء آنفا، فتحول تصدير المواد التي كانت تروج عبر آنفا نحو ميناء أزمور القريب منها(١٠٤)، وسرعان ما تراجع التجار الأوروبيون أمام إقبال تجار الأندلس والبرتغال في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على ميناء أزمور، حيث احتدم التنافس بينهما على الاستئثار بالسلع التجارية لأزمور(١٠٥).

ومما زاد من أهمية ميناء أزمور لدى التجار البرتغاليين خاصة، اكتشافهم لبعض الجزر والموانئ على سواحل افريقيا الغربية، ومن أهمها جزيرة أركين (أرغين)(١٠٦) المقابلة للرأس الأبيض بالساحل الموريتاني، وكذلك اكتشافهم لمينائي أشين axim بغانا، ولامينا عام ٨٧٩هـ/١٤٧١م(١٠٧)، حيث تعود الموريتانيون، وسكان السودان الغربي على تبادل التبر والعبيد مع التجار

البرتغاليين مقابل مجموعة من السلع كان التجار البرتغاليون يجلبونها عبر ميناء أزمور، وخاصة القمح، والأنسجة الصوفية، فضلا عن بعض الأدوات النحاسية، والملح(١٠٨).

وكان نهر أم الربيع المحرك الأساسي لرواج التجارة بأزمور عبر مينائها، حيث سهل النهر اتصال الداخل بالخارج عبر مصبه في مدينة أزمور، ولأنه يجتاز الكثير من المدن التي تنتج أهم السلع التجارية المطلوبة لدى التجار؛ لتسويقها عبر ميناء أزمور للخارج، فكانت السفن تخترق النهر وتجلب على صفحته ما تحتاجه من حبوب، وجلود، وعسل، وشمع، وشابل، ثم تتجه نحو المصب، ومنه إلى ميناء أزمور؛ لتلبي احتياجات التجار الأوربيين من هذه السلع، وعلى الرغم من التطور الذي لحق بالسفن فيما بعد بتحولها نحو الضخامة، فضلًا عما سببته العوامل الطبيعية من تراكم الحواجز الرملية والتي أدت إلى ضيق مصب وادي أم الربيع(١٠٩)، ظل النهر يمارس دوره التجاري كحلقة وصل أساسية بين ميناء أزمور، وبين المناطق القريبة، والأحواز التابعة للحاضرة، وذلك من خلال مرور زوارق صغيرة تناسب عبورها إلى مصب النهر، تسمى الزابرة (zavras)، حيث اُستعملت كواسطة لشحن المنتجات المحلية من مجرى نهر أم الربيع إلى السفن الراسية عند ميناء أزمور(١١٠)، وهو ما يطلق عليه نظام المسافنة، لنقل تلك المنتجات من الداخل إلى الميناء والعكس، وبذلك ساهم كل من النهر، وميناء المدينة في جعل أزمور ضمن التيارات الاقتصادية والتجارية العالمية، فأصبحت التجارة أهم أنشطتها.

*** الطرق التجارية لأزمور :**

وبذلك أضحت أزمور ملتقى طرق تجارية عدة، ومنطقة مرور مفتوحة نحو الأقطار المهمة أوربية كانت، أو أفريقية، ساعدها في ذلك توافرها على شبكة طرق تجارية تربطها بباقي أقاليم المغرب الداخلية بواسطة نهر أم الربيع، ومن الخطوط التجارية التي ربطت أزمور بالمدن والأقاليم الداخلية:

- طريق يمر بين أزمور والمدينة الغربية، حيث يخترق القرى الآتية:

كليزوتارتير، والمدينة، وأوكليز، وتيط، والمدينة الغربية[١١١].

- وهناك طريق تجاري يفد على أزمور من تادلا، وتامسنا (الشاوية)، وسلا، ولكن الاتصال مع المنطقتين الأخيرتين كان معاكسا من طرف نهر أم الربيع الذي كان يفتقر إلى قنطرة، رغم وجود معبر على بعد (١٥ كم) من أزمور[١١٢].
- خط تجاري يربط ما بين آسفي وأزمور، وآخر ما بين أزمور وتامراكشت– من قرى تامسنا –، وخط ما بين أزمور وسلا عبر الساحل، حيث كان يربط أزمور بالمناطق الشمالية وصولا لسبته[١١٣].

أما الطرق التي ربطت أزمور بالموانئ والمدن الخارجية: نجد أن لأزمور علاقة تجارية قديمة ومستمرة مع موانئ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وخصوصا وموانئ أيبريا[١١٤]، فضلا عن وجود خط تجاري ممتد من أزمور إلى سواحل وموانئ افريقيا الجنوبية، حيث يعد ميناء أزمور إحدى نهاية طريق التبر، وذلك منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[١١٥].

هذه الشبكة التجارية، فضلا عن إغلاق واحتلال الكثير من الثغور والموانئ المغربية من قبل البرتغاليين، جعل ميناء أزمور ضمن التيارات الاقتصادية المهمة وخاصة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، مما دفع سكان أزمور إلى ركوب البحر، واحتراف التجارة، فترتب على ذلك ظهور فئة من التجار يحملون خصائص الطبقة التجارية الديناميكية من تسابق نحو السلع، وادخارها لوقت ارتفاع الاثمان، ومحاولة تنحية المنافسين[١١٦] كما نتج عن تزايد المبادلات التجارية، وتراكم التجارب تطور في الهياكل، فانتشر نظام الشراكة[١١٧]، فكان لهذه الفئة دور مهم في توجيه أزمور وبواديها سياسيًّا واقتصاديًّا، ووصف ابن الخطيب[١١٨] هذه الفئة قائلًا: "إنما حرثهم وحصادهم اقتصادهم، يترامون على حبة الخردل بالجندل، ويتضاربون على الأثمان الزيوف بالسيوف".

وارتبطت مصالح هؤلاء التجار بوجود التجار الأوربيين الذين فتحوا لأزمور

وبواديها أسواقًا كبرى لسلعهم، ولذا عملوا على إرضائهم وتسهيل مقامهم[١١٩]، كما ظهرت فئة الوسطاء الذين يقومون بجمع المنتجات الريفية من البوادي، ليعيدوا بيعها للتجار بميناء أزمور، وفي المقابل يدفع هؤلاء الوسطاء السلع المستوردة لتلك البوادي[١٢٠] وكانت هاتان الفئتان (التجار والوسطاء) حريصين على مصالح التجار الأجانب، وخاصة البرتغاليون، وعلى تنبيههم إلى كل ما يهدد سيرها الحسن[١٢١]، وأكثر من هذا لم يترددوا في الدخول تحت حرمة أو حماية التجار البرتغاليين العاملين معهم، وما يدل على ذلك أنه عندما تعرضت مراكب التجار البرتغاليين للنهب عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م أمر الملك البرتغالي بمقاطعة التجارة مع ميناء أزمور، واستمرت المقاطعة لمدة عامين، فتضررت مصالح تجار ووسطاء أزمور، فاضطروا لطلب العفو من الملك البرتغالي، وتعويضهم عن كل الخسائر التي لحقت بالبرتغاليين، وقبلوا شروطهم جميعها[١٢٢].

وترتب على النشاط التجاري الكبير الذي شهدته أزمور في فترة الدراسة توقف تجار أزمور عن الانتقال بسلعهم إلى أسواق أخرى، وذلك لأن التجار الأوربيين بصفة عامة، والإسبان والبرتغاليين بصفة خاصة تزايد اقبالهم على ميناء أزمور؛ لشراء السلع التي يحتاجونها، وفي المقابل يجلبون إلى أزمور وأحوازها ما يتطلبونه من سلع مستوردة، فالطلب على منتجات أزمور أعفى تجارها من عناء نقلها إلى أسواق أخرى[١٢٣] كما هيأت الظروف الاقتصادية بوادي أزمور على اللجوء إلى الحاضرة لتصريف منتجاتهم، فصار القرويون من مزارعين ومربي الماشية يفدون يوميًا على أسواق أزمور، حيث أصبحت المدينة سوقا كبيرة ودائمة، وبذلك أدمجت البوادي في التيار الاقتصادي للمدينة، واستفادت من الرواج التجاري لأزمور[١٢٤]، فأصبح لأزمور أسواق حافلة يأتي إليها تجار المغرب من فاس، وسجلماسة، لترويج بضائعهم عبر ميناء أزمور[١٢٥]، وكذلك البوادي القريبة من تامسنا (أهل الشاوية) كانوا من أهم موردي أسواق أزمور بما تحتاجه من لحوم، ودجاج، وصوف، وحبوب، وأبقار،

وخيول وغيرها[١٢٦]، فأعطى بذلك النشاط التجاري (الفلاحة والصناعات المحلية) لأزمور انتعاشا وحيوية تجارية لا عهد لها به من قبل، وضمنت لهذه المنتجات سوقا دائمة[١٢٧].

*** صادرات أزمور وواردتها:**

أما عن السلع المصدرة عبر ميناء أزمور، كان على رأسها القمح، هذه السلعة الاستراتيجية للمدينة دفعت التجار الأوربيين إلى الالتجاء إلى موانئ إقليم دكالة كبيرها وصغيرها، حيث أضحت أزمور مركز جذب لتجارة الحبوب والأقوات[١٢٨]، وكذلك الموانئ الصغيرة التابعة لأزمور كتيط[١٢٩]، ومازغان[١٣٠]، ودار الفارس[١٣١]، وكانت البوادي من المناطق المهمة التي تزود الميناء بهذه السلعة، حيث يفد الأعراب يوميا على أزمور مصحوبين بعدد من الجمال المحملة بالقمح، والشعير[١٣٢].

ويأتي سمك الشابل في الأهمية بعد القمح، حيث قُدرت الضرائب المؤداة عن صيده أو الاتجار فيه ما يضمن لأزمور مداخيل مهمة وكبيرة، تصل إلى ستة أو سبعة آلاف مثقال[١٣٣] تقريبًا، حيث يأتي التجار الأوربيون والأيبريون إلى أزمور في أوقات صيدها، لشرائه وإعادة تسويقه إلى بلادهم مرة أخرى[١٣٤]، فضلا عن أنه كان يصدر منه كميات إلى المدن والأقاليم الداخلية كمراكش وفاس[١٣٥]، وتقوم عليه صناعة تجفيفه وتمليحه، وأصبح الاتجار به مورد دخل مهم تعيش عليه أزمور[١٣٦].

وسرعان ما طغت مواد أخرى لاقت رواجا لدى التجار الأجانب، منها العسل والشمع، فأهل قرية السُبيت التابعة لأزمور كانوا يعقدون صفقات كبرى مع تجار أوربا لبيع العسل والشمع بكميات كبيرة[١٣٧]، وكان الاقبال على هذه السلعة مهما إلى حد أن الأعشار المؤداة عنها بلغت بأزمور وبواديها (٢٠٠٠ كروزاد)– عملة ذهبية برتغالية – سنويا بما يعادل ٨٠٠ ألف ريال فضة[١٣٨].

وكذلك كان الصوف، والأنسجة الصوفية من أهم صادرات أزمور، ومما زاد من أهمية هذه السلعة ارتباطها بالتجارة مع سواحل أفريقيا الغربية عبر

التجار البرتغاليين، وكانت محل اهتمام الملك البرتغالي نفسه، الذي كان يفضلها ويشتري الكثير من الحنابل[١٣٩]، فضلا عن أنها كانت سلعة مهمة بكل من مينائي أركين ولامينا[١٤٠] .

أما عن السلع المستوردة، والتي لاقت إقبالا لدى سكان أزمور وأحوازها، كان أهمها نوع من النسيج يسمى البردات[١٤١]، ويليها الأثواب الإنجليزية[١٤٢]، ثم تأتي بعض المواد المستخدمة في صباغة الأنسجة، ومن أهمها الصمغ الهندي[١٤٣]، والكبريت الذي كان يمثل عنصرا مهما في صباغة الأنسجة وخاصة الصوفية[١٤٤]، وكذلك حجر الشب الذي يجلب من الشرق[١٤٥]، كما جُلبت بعض التوابل بمقدار أقل من السلع الأخرى[١٤٦].

وكانت العملات المستخدمة في التجارة داخل أزمور هي العملات المحلية كالثمن، والمثقال، والأونص، والأوقية، فضلًا عن استخدام العملات البرتغالية؛ لتسهيل التجارة داخل الميناء، ومنها الريال وهي وحدات فضية، والكروزاد وهي عبارة عن عملة ذهبية[١٤٧]، أما الأوازن المستخدمة في أسواقها، منها الصاع المغربي، والكير (الكيل)، والقنطار، والأوقية، والمقياس، والذراع[١٤٨] .

ويتضح من خلال ما سبق الإشارة إليه في المجال التجاري لأزمور، أنها كانت من المراكز التجارية المهمة بل والأساسية للتجارة مع أوربا عامة، والبرتغال خاصة، حيث كانت أهم مزود لهم بالسلع والمنتجات الضرورية لتجارتهم مع سواحل أفريقيا، بما يضمن لهم استيراد التبر والعبيد مقابل سلع أزمور، فضلا عن ذلك كانت أزمور من أهم مخازن الحبوب للمنطقة، وكذلك من أهم مناطق توريد أسماك الشابل التي اشتهرت به المدينة وتسمى باسمها، كما كانت أزمور من الأسواق المهمة لجلب السلع الأوروبية، والتي كان يحتاجها سكان أزمور وأحوازها، فأصبحت مركزًا تجاريا عالميا تتجمع فيه السلع من الداخل والخارج.

ونهر أم الربيع كان المحرك الأساسي لتجارة أزمور، حيث لعب دورًا في تنشيطها، وربط المناطق الداخلية لبوادي أزمور وأحوازها بالتجارة الخارجية عبر

مينائها الذي يقع في مصب وادي نهر أم الربيع، فكان النهر ممرًّا للبضائع المجلوبة من الداخل ليتم تصديرها إلى الخارج، وترتب على هذا الرواج التجاري، والانتعاشة الاقتصادية للمدينة تحسن ملحوظ في مستوى معيشة سكانها، وتقدم ملحوظ في كافة المجالات الأخرى.

ثانيًا: الآثار العلمية والثقافية لنهر أم الربيع على المجتمع الأزموري:

كان لأزمور وضواحيها نصيبٌ وافرٌ وإسهامٌ طيبٌ في نشر العلم، وذلك بفضل رجالات أنجبتهم أرضها، فأثمروا في الداخل والخارج، فدرسوا وأفادوا بما حصلوه من علم، وتتلمذ لهم جملة كبيرة من علماء المغرب وجلتهم، وساهم نهر أم الربيع إلى حد كبير في تلك النهضة العلمية وذلك من خلال التنقل عبره من أزمور إلى عدة مناطق داخل المغرب وخارجها.

وتميزت منطقة دكالة وحاضرتها أزمور بأنها مركز إشعاع علمي وروحي منذ الفتح الإسلامي، حيث أن أول الرباطات التي نشأت بالمغرب أُسست بها، وأشهر رجال العلم والتصوف الأوائل بالمغرب ينتسبون إلى أزمور(١٤٩)، ولقد نوهت العديد من المصادر إلى النشاط العلمي والصوفي في أزمور، حيث اُعتبر ساحل أزمور موضعًا للأولياء(١٥٠)، وأشير إلى كثرة أوليائها وصلحائها، حتى شُبهت أرضها " بأنها تنبت الأولياء، كما تنبت الأرض البقول"(١٥١)، ومما يؤكد ذلك ان ابن الزيات(١٥٢) قد ترجم في تشوفه (٢٦٨ شخصية) كان عدد الأزموريين تقريبا الخمس منهم(١٥٣) ولقد لعبت أزمور أدوارًا كبيرة في نشر العلم والمعرفة والتربية الخلقية والروحية، فكثرت بها المدارس العلمية، والرباطات الصوفية، وهذه المدارس والربط عم اشعاعها جهات كثيرة في المغرب، بل تعدى حدوده إلى سائر كثير من أقطار العالم الإسلامي(١٥٤)، ونافست أكبر المدن المغربية آنذاك كفاس ومراكش، وخاصة في الجانب الصوفي حتى اعتبر البعض أن دكالة مهد التصوف المغربي(١٥٥) .

وبفضل انتشار أخبار صلحاء أزمور وشيوخها، استقطبت المدينة الكثير من الوافدين إليها؛ بهدف التنسك والتعبد، أو تحصيل العلوم، فذاع شهرتها في

المشرق، والسودان الغربي وأفريقيا[١٥٦]، وأقبل عليها المتصوفة لزيارة أوليائها للتعلم على أيديهم، أو التبرك بهم[١٥٧]، حيث ساهم أولياء أزمور بشكل كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية لإقليم دكالة، وأضحى هؤلاء الأولياء فئة اجتماعية مستقلة يقدرها أفراد المجتمع، وأمراء وقادة المغرب على مر العصور.

فالأمراء المرابطون (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م) كانوا يقدرون آل أمغار برباط تيط[١٥٨]، ويشجعونهم على أداء دورهم التربوي في المجتمع، كما كانوا يلجأون إليهم؛ للاستشارة في كثير من الأمور والملمات[١٥٩]، وكذلك الموحدون (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٧ -١٢٦٩م) نجدهم يجلّون ولي أزمور الشهير أبي شعيب السارية[١٦٠]، حيث كان هذا الولي الصوفي محط زيارة الخليفة المرتضى الموحدي (٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م)[١٦١]، وذلك لأن أبا شعيب السارية كان مسانداً للخلافة الموحدية في مقاومتها لكل أشكال التحريف؛ بغية تحقيق وحدة مذهبية للبلاد، فضلًا عما روته الأخبار من نسك هذا الولي، والتزامه، وكراماته، ومساعدته الفعلية لكل من يقصده[١٦٢] .

أما في الدولة المرينية (٥٩١-٨٧٥هـ/١١٩٥-١٤٧٠م) شهدت أزمور في تلك الفترة نشاطا علميًّا، وثقافيًّا ملحوظًا، وذلك لاهتمام سلاطين بني مرين بمنطقة أزمور، حيث زارها السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م)، واختصها بإحدى المدارس التي شيدها بالمنطقة[١٦٣]، وحبس عليها " أعلام الكتب النفسية، والمصنفات العديدة"[١٦٤]، كما يذكر أن السلطان أبا عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) كان له منزل على ضفة نهر أم الربيع بمكان يسمى (بودفو) قريب من أزمور[١٦٥]، وأن هذا المنزل احتضن الكثير من الجلسات العلمية للسلطان أبي عنان مع العديد من علماء ومتصوفة أزمور، ويذكر أن مجلس علم حضرة ابن الحاج النميري صاحب كتاب (فيض العباب) بهذا المنزل[١٦٦]، كما شيد أبو عنان بأزمور مسجدين[١٦٧] تعقد فيهما حلقات للعلم.

وبفضل تلك المدارس، والربط، والمساجد[١٦٨] أضحت أزمور من أهم وأشهر المراكز التعليمة، حيث كان التعليم في تلك المؤسسات منظمًا، مقننا، تربويًّا وخلقيا، وكان هناك اهتمام واضح بطلاب العلم والمريدين، حيث كانوا يسهرون على تعليمهم، وراحتهم في كل مستلزماتهم[١٦٩]، كما كان لهذه المؤسسات أوقاف تقوم بأودها[١٧٠]، وما يدل على ذلك انتماء علماء أجلاء لها، ولمكانة المدينة علميا وصوفيا تلقب كثير من علمائها وشيوخها باسم المدينة[١٧١]، وساهم هؤلاء العلماء بشكل كبير في ربط الصلات الثقافية والروحية بين المغرب والعالم الإسلامي، فكان للكثير منهم رحلات إلى السودان، وتونس، ومصر، والحرمين الشريفين، والشام، والعراق، بل وصل بعض علماء أزمور إلى الهند؛ لينشروا علمهم، أو ليتعلموا ويعودوا إلى بلادهم؛ ليكونوا مشاعل للعلم والثقافة في بلادهم[١٧٢] .

وسنذكر بعضًا من هؤلاء الأعلام على سبيل المثال لا الحصر، منهم (ابن سارة الزموري محمد بن سعيد) (ت٨٦٠هـ/١٥٦٧م) سكن مكة المكرمة، وكان شيخًا لرباط الموفق بها، وقال عنه السخاوي[١٧٣] " لقد وصفه ابن عزم بشيخنا، وفي موضع آخر بفقيهنا"، وكذلك (محمد بن محمد الأنصاري الزموري) (ت٨٤٠هـ/١٤٣٧م) الذي اشتهر بالمدينة المنورة بمهارته وعلمه في تدريس الفقه واللغة العربية [١٧٤]، وممن رحل من أزمور إلى المشرق (محمد بن سعيد بن عثمان الصنهاجي الهنائي الزموري) قاضي (انقشابو)، حيث رحل إلى القاهرة، ومكة، والإسكندرية، وكان عالمًا بالفقه والحديث مُدرسًا ومؤلفًا، وكان على قيد الحياة عام (٧٦١هـ/١٣٦٠م)[١٧٥]، ومن علماء اللغة، ويعد أستاذ النحو (أبو القاسم الماجري الزموري) (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)[١٧٦]، وكذلك (أبو القاسم الفتوح بن عيسى الزموري) (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الذي يعد عالمًا بالعربية، وخاصة في العروض والقوافي[١٧٧].

أما في مجال العلوم التجريبية نجد الحاج الزموري (محمد بن أحمد بن عيسى) الذي كان حيًّا في صدر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر

الميلادي، حيث له مؤلف موسوعي عن أمراض الطاعون وطرق علاجها، ويسمى (قول من يرائي ولا يمنع الماعون في الوافد الوبائي المسمى بالطاعون)، عُرف عنه مشاركته الواسعة في مختلف فروع المعرفة[١٧٨]، ويعد (محمد بن عبدالله بن محمد الزموري)(ت٩٧٧هـ/١٥٧٠م) من فلكيي أزمور، وكان معلمًا في إحدى مدارس فاس، وله أثر وحيد عن الفلك وهو عبارة عن أرجوزة تعليمية في وصف منازل الكواكب[١٧٩] .

ووصل الشيخ الحافظ والمؤرخ والأديب (عبدالله بن الفقيه أبي العباس أحمد الزموري) الذي كان حيا في (٨٨٨هـ/١٤٨٤م) إلى بلاد (ولاته)المتصلة بالسودان الغربي، وربما وصل إلى (التكرور)– على الضفة اليسرى لنهر السنغال – حيث اقرأ أهلها، والتقي بفقهائها، واثنى عليهم في تحصيلهم وطلبهم للعلم منه[١٨٠]، وهناك العديد من المصادر التي تذكر فيها أعلام وفقهاء ينتمون لأزمور أو حدى ضواحيها[١٨١].

ويتضح مما سبق أن أزمور أضحت مركزًا علميًّا وروحيًّا، وأصبحت قبلة لكثير من طلاب العلم، والمتصوفة، وساهم في ذلك نهر أم الربيع بشكل أو بآخر، حيث كان وسيلة لانتقال طلاب العلم، ومريدي متصوفة أزمور إليها، وعلى ضفافه أقيمت بعض الربط والزوايا التي تخرج منها كثير من علمائها الذين جمعوا بين العلم والعمل، فضلًا عن المدارس التي عجت بطلاب العلم، ومن أشهرها المدرسة المختارية لتدريس الفقه[١٨٢]، وكذلك انتقال علمائها إلى كثير من الأقطار الإسلامية في الشرق، والسودان الغربي للتعلم والتعليم، وللمساهمة في ربط الصلات الثقافية والروحية بين المغرب والعالم الإسلامي، مما يشهد على مكانة أزمور العلمية.

ثالثًا : الآثار الاجتماعية لنهر أم الربيع على المجتمع الأزموري :

إن الرواج الكبير الذي عرفته أزمور في كافة أنشطتها الاقتصادية جعلها في وضعية متميزة بين مدن إقليم دكالة، لدرجة أن الإقليم كان يذكر بمدينة أزمور؛ باعتبارها المركز الحضاري الأكثر نشاطا وأهمية حيث كانت تتحكم

إداريا في مناطق عدة داخل إقليم دكالة[١٨٣]، فضلًا عن السيطرة التجاريةالفاعلة في كثير من أحوازها و بواديها، فارتفع نتيجة لذلك شأن طبقة التجار الذين كان لهم دورا مهما في توجيه أزمور سياسيا واقتصاديا، حتي وصف ابن الخطيب[١٨٤]عقلية هذه الطبقة التي انضوى تحتها فئات عدة، فقال "يترامون على حبة الخردل بالجندل (الصخرة العظيمة)، ويتضاربون على الأثمان الزيوف (النقود الزائفة) بالسيوف"، وغلبت هذه الطبقة مصلحتهم التجارية على مصلحة المدينة وعامة السكان، وكانوا سببا في الغزو البرتغالي لأزمور واحتلالها[١٨٥].

وضمت طبقة التجار العديد من شيوخ القبائل الذين أصبحوا أشبه بملوك محليين في المنطقة، وخاصة بعد ضعف السلطة المركزية المتمثلة في الدولة المرينية، وعجزها عن التحكم في كل أقاليم المغرب[١٨٦]، فاحتكر هؤلاء الشيوخ الجباية لأنفسهم، حتى أصبحت الدواوير لا تعرف إلا بأسماء شيوخها[١٨٧]، ومع الرواج التجاري الذي شهدته أزمور فترة الدراسة، أصبحت عائدات جمارك ميناء المدينة مهمة، مما أدى إلى احتدام الصراع بين الأعيان من أجل الاستحواذ على السلطة[١٨٨]، واستولى على السلطة من أصبح اهتمامهم بالتجارة كبيرًا، لذا حاولوا استغلال نفوذهم ومركزهم للاستحواذ على مداخيل المدينة من جمارك، وضرائب على الصيد، ومنتجات البوادي وغيرها[١٨٩].

كما ظهرت فئة من التجار التي ارتبطت مصالحها مع مصالح التجار الأوربيين، فعملوا على ارضائهم وتسهيل مقامهم[١٩٠]، وظهر الوسطاء الذين تنافسوا فيما بينهم، وكانوا حريصين على مصالح الملك البرتغالي التجارية، وعلى تنبيهه إلى كل ما يهدد سيرها الحسن، ولمصلحتهم التجارية لم يترددوا في الدخول تحت حماية أو حرمة التجار البرتغاليين العاملين معهم[١٩١]، ولعبت طائفة اليهود بأزمور الدور الأكبر في ضمان الوساطة التجارية لهم، حيث سخرت نفسها لخدمة البرتغاليين[١٩٢] .

كما أثرت الانتعاشة الاقتصادية لأزمور على مستوى معيشة سكانها،

فأصبح غالبيتهم موسرين وخاصة التجار والحرفيين[١٩٣]، وأصبحت أزمور وافرة المأكل، رفيعة الملبس، وحسنة المسكن، وربما تجلى هذا التحسن في مستوى المعيشة من خلال ما أورده ابن الخطيب[١٩٤]في وصفه لأزمور، فقال "بلد يخزن الأقوات، ويملأ اللهوات، باطنه الخير، وإدامه اللحم والطير، وساكنه رفيه، ولباسه يتحد فيه، ومسكنه نبيه"، هذا الوصف يجسد مدى تحسن الأوضاع المعيشية لسكان أزمور، الذي أصبح طعامهم يعتمد على اللحم والطير، وكافة أنواع الأقوات الفاخرة، وما يدل على ذلك أن منطقة تامسنا (الشاوية) كانت تزود أسواق أزمور بشكل يومي بما يحتاجه من صنوف اللحم، والدجاج، والحبوب، والخضروات والفواكه[١٩٥].

أما ملابسهم تأثرت إلى حد كبير بملابس التجار الأوروبيين؛ بسبب تعاملهم معهم[١٩٦]، فتزايد على شراء الأنسجة الأوربية الرفيعة، وخاصة الكتان، والأثواب الإنجليزية[١٩٧]، وأعجب الوزان[١٩٨] بحسن هندامهم وأشاد بذلك، وتأثرت كذلك دورهم في طريقة البناء بالنمط المعماري الأوروبي، فكانت أغلب منازلهم مبنية على الطراز العصري[١٩٩]، ولكن على الرغم من ذلك نجد أن البرتغاليين عند احتلالهم لأزمور، وجدوا منازلها في حالة سيئة وقذرة[٢٠٠]؛ وربما يرجع ذلك لأن كثير من بيوتاتهم تُخزن بها اسماك الشابل بسبب عمل كثيرًا من سكانها في صيد الشابل، مما يجعلهم يجيرون منازلهم، حيث يطرد الجير الروائح الكريهة والجراثيم التي تتخلف عن تخزين الشابل [٢٠١]، وهذا لا ينفي استفادة سكان أزمور – ولو بمستويات مختلفة – من الظروف الاقتصادية الحسنة التي شهدتها المدينة.

كما كان لهذا الرقي في مستوى المعيشة الذي بالحاضرة انعكاسٌ على قراها وبواديها، واتضح ذلك من خلال كبر خيامهم ورونقها، فضلًا عن كثرة امتلاكهم للمواشي[٢٠٢]، كما كان الكثير من أسلحتهم ودروعهم مزينًا بالذهب[٢٠٣].

كما أثر هذا الثراء على أخلاق وعادات المجتمع الأزموري، فعلى المستوى

الإيجابي، جعلهم هذا الرقي أناسًا متحضرين يديرون شئونهم بنظام أفضل من الآخرين في محيطهم الجغرافي[٢٠٤] وشهد بذلك أيضًا ابن الخطيب[٢٠٥]عندما التقى بالأزموريين"، فأعجب بالمستوى المتحضر للمدينة وسكانها، الذين أكرموا وفادته، وتلقوه بمظاهر الترحيب والكرم، مما أشعره بتميزها عن كثير من الحواضر المغربية، فقال: "عدنا من الغد إلى أزمور، فرأينا صدق المثل في قولهم العود أحمد، وتلقينا فيها أصناف الفضلاء مصحرين، ولوظائف البر متممين"

أما التأثير السلبي لهذا الثراء، جاء نتيجة انغماس بعضهم في الملذات، فابتعد بعضهم عن القيم الأخلاقية الدينية المعهودة، وانكبوا على الرذائل وفعل المنكرات[٢٠٦]، وتفشت بينهم بعض الظواهر كالتفاخر والشح، فهم "قليل احسانهم، يكثر بينهم العرض بالافتخار"[٢٠٧].

رابعًا : الآثار السياسية لنهر أم الربيع على المجتمع الأزموري:

كثيرًا ما تكون نقمة المرء في نعمته، وهذا ما حدث لأزمور التي شهدت نشاطًا كبيرًا في كافة مجالات حياتها؛ بسبب موقعها الاستراتيجي كمصب لنهر أم الربيع، فضلًا عن إطلالتها على المحيط الأطلنطي، مما جعلها مركزا تجاريا مهما لبلاد المغرب الأقصى، فكانت مستودعا لتجمع السلع في مناطق الداخل والخارج، ولذا أصبحت من أهم المحطات التجارية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين للأوروبيين عامة، وللايبريين (الإسبان – البرتغاليين) خاصة.

ولذا حاول الإسبان السيطرة على ميناء أزمور والاستئثار به دون غيرهم، وتعرضت أزمور إلى هجمات متكررة من قبلهم[٢٠٨]، هذا الأمر دفع الأزموريين وخاصة التجار منهم، ومن لهم مصالح تجارية كالأعيان والوسطاء إلى طلب الحماية من ملك البرتغال جان الثاني (٨٨٦-٩٠٠هـ/١٤٨١-١٤٩٥م)، وتم إبرام معاهدة بين الطرفين عام٨٩١هـ/١٤٨٦م لحماية المدينة وميناءها من هجمات الإسبان[٢٠٩] وكان الحكم في أزمور فترة الدراسة يتكون من مجلس من

أعيان قبائل المنطقة، حيث نُحي عامل المدينة لضعف السلطة المرينية وعجزها عن التحكم في كل أقاليم المغرب، ويبدو من المعاهدة التي وقعها هؤلاء الأعيان مع الملك البرتغالي أن قبيلة الهنائيين كانت هي المسيطرة، وإلى جانبهم قبائل أخرى كأسرة اليونسيين، وابن القاسم(٢١٠)، وكان لهم اهتمام بالتجارة، فاستغلوا نفوذهم ومركزهم في تنشيط عملياتهم التجارية، والاستحواذ على مداخيل المدينة، وهم الذين وقعوا مع الملك البرتغالي تلك المعاهدة خوفا على مصالحهم التجارية(٢١١)، وبناء على تلك المعاهدة بدأ البرتغاليون في استخدام وسائل التوغل السلمي لأزمور، ولعب كل من وكلاء الملك البرتغالي، والتجار، ويهود أزمور دورًا طلائعيًا لتحقيق هذا الهدف، وعملوا على استقطاب حكام المدينة، وتجارها، حتى أصبح عدد منهم تحت حماية الملك البرتغالي شخصيًا، وسخَّروا أنفسهم لخدمة البرتغاليين ومصالحهم(٢١٢).

واستمر العمل بهذه المعاهدة حتى تولى الملك إيمانويل الأول حكم البرتغال (٩٠٠-٩٢٦هـ/١٤٩٥-١٥٢١م) وبدأ البرتغال في الكشف عن أطماعها الحقيقة لاحتلال أزمور (٢١٣)، فبادر الملك البرتغالي عام٩١٤هـ/١٥٠٨م بمحاولة أولية لاحتلال أزمور، وربما كانت هذه المحاولة لمعرفة القدرات العسكرية للمدينة(٢١٤) ولكنها باءت بالفشل(٢١٥)، وعلى الرغم من ذلك ظلت الفكرة مسيطرة على الملك البرتغالي، وذلك بتشجيع من التجار البرتغاليين المقيمين بأزمور، الذين زينوا للملك البرتغالي احتلالها، وأغروه بما تمتلكه المدينة من إيرادات ومداخيل مهمة، بسبب الشابل، والقمح، فضلًا عن إعفائهم من الضرائب والجمارك التي كانوا يؤدونها عبر ميناء أزمور لشراء السلع(٢١٦)، وبالتالي أصبحت أزمور وميناؤها من المناطق الاستراتيجية للبرتغاليين ولابد من التحكم فيها بشكل أو بآخر(٢١٧).

ونجح البرتغاليون في مسعاهم في عام ٩١٩هـ / سبتمبر ١٥١٣م وتمكنوا مناحتلال أزمور بعد قصفها؛ حيث استطاع البرتغاليون بفضل تفوقهم المادي، وتباين الإمكانيات العسكرية بينهم وبين الأزموريين من إخضاع حواضر

المنطقة وقبائلها لواقع الاستعمار، وبالرغم من استبسال سكان أزمور في الدفاع عنها تم احتلال المدينة [٢١٨]، وبالسيطرة العسكرية المباشرة من قبل البرتغاليين شهدت المدينة أفول نجمها، وخبو تأثيرها، حيث لم يجلب لها هذا الاحتلال سوى الخراب والتدمير لجميع مواردها [٢١٩] فتضررت أنشطة المدينة، وعرفت تراجعًا خطيرًا، حيث لم تبق قرية ولا ضاحية من أحوازها إلا وعمها الخراب، والتدمير، والتهجير؛ جراء هذا الاحتلال[٢٢٠].

وعلى الرغم من تفوق البرتغاليين العسكريشهد الاحتلال البرتغالي مقاومة عنيفة من مجاهدي أزمور ومتصوفيها، حيث استطاع المجاهدون نصب الكمائن على طول نهر أم الربيع لسفن البرتغاليين وعملائهم[٢٢١]، وتعرضت بعض المراكب الراسية بأم الربيع لهجومات خاطفة من قبلهم[٢٢٢]، وغالبا ما كانت تحمل هذه المراكب مؤن ومحاصيل للبرتغاليين وحلفائهم، حيث كان يتم احراقها أو نهبها [٢٢٣]، وتم ضرب حصار على الثغور المحتلة، ومنع القوافل والمواد الغذائية من الوصول إلى الأعداء[٢٢٤]، ولقد كانت لكمائن المجاهدين [٢٢٥] وهجوماتهم لها أثر كبير إلى حد أن برتغاليي أزمور تضرروا كثيرًا منهم، مما اضطر حاكم أزمور البرتغالي بعد تزايد نشاط مجاهدي شمال أم الربيع إلى الالتجاء إلى قائد سلا طالبًا منه وضع حد لنشاط المتسللين منهم إلى أزمور[٢٢٦].

وكان مجاهدو أزمور يقومون أيضًا بعمليات اختطاف عدد كبير من البرتغاليين قرب نهر أم الربيع على يد شيخ أولاد يعقوب[٢٢٧]، أما عن الأسلحة التي استخدمها الأزموريون كانت إلى حد ما تقليدية فقاموا بقصفهم بأكوام من الأكياس المحشوة بالعقارب والنحل كوسيلة تقليدية للدفاع عن مدينتهم؛ وبخاصة على طول نهر أم الربيع الذي انتشر فيه خلايا النحل كما أوضحت سابقًا [٢٢٨]، وبالرغم من ذلك لم تكن الأسلحة النارية مجهولة لديهم، حيث استعمل سكان أزمور المدافع في مقاومتهم ضد البرتغاليين[٢٢٩]، كما كانوا على علم بتقنيات الحصار وإحراق السفن.

أشكال التخريب والتدمير التي شهدتها أزمور على أيدي الاحتلال البرتغالي:

١- ما حدث لها من تراجع هائل في أعداد سكانها، وحدوث تغيير جذري للخريطة الديمغرافية للمدينة بشكل لم يسبق له مثيل، ويعزي هذا إلى عدة أسباب منها:

- نزوح سكانها عن مدنها واحوازها بمجرد الاحتلال البرتغالي، حيث نزح سكان أزمور منها ليلة احتلال المدينة إلى عدة مناطق مجاورة كسلا وفاس(٢٣٠)، وتامسنا(٢٣١)، ويذكر أنه لم يبق أحد من سكان أزمور بها، حتى فقهاؤها ومتصوفوها وعلماؤها(٢٣٢)، وكذلك الحرفيون والصيادون، وصناع مواد البناء(٢٣٣)، ولم يقتصر هذا النزوح عن الحاضرة أزمور فقط، بل شمل أحوازها مثل المدينة الغربية(٢٣٤)، وسكان قرى السُبيت، وترغا، وتيط، حتى القبائل القاطنة في البوادي كبني ماكرو مشنزاية(٢٣٥)، وحمَّل كربخال(٢٣٦) الغزو البرتغالي مسئولية هذا النزوح والتهجير والخراب الذي طال أزمور وأحوازها.
- كما تُعزي عملية تراجع أعداد سكان أزمور إلى اختطافهم واقتناصهم من قبل الاحتلال البرتغالي، وغالبًا ما شجع على هذا الاسلوب وجود تجارة للعبيد بميناء أزمور حتى قبل الاحتلال البرتغالي لها، وتقوي هذا النزوع من المحتمل وساعده سنوات المجاعة التي شملت المنطقة بدءًا من عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م حتى عام ٩٢٧هـ/١٥٢١م، فتعرضت أزمور وأحوازها لغارات متعددة من قبل البرتغاليين للحصول على الأسرى (٢٣٧)، وساهم الدكاليون انفسهم أيضًا في ذلك الأمر، حيث كان بعضهم يختطفون عناصر من قبائل معادية لهم، ويأتون لميناء أزمور لبيعهم للبرتغاليين(٢٣٨)، وطال الأسر عددًا من فقهاء أزمور المشهورين(٢٣٩)، فضلًا عن ورود روايات تذكر أن كل من دخل الحاضرة كان يتعرض للأسر؛ لكي تؤخذ فديته(٢٤٠)، وراجت تجارة العبيد في تلك الفترة، فأصبحت موردًا مهمًّا للبرتغاليين، فاق التجارة بالشابل والقمح(٢٤١).

- فضلًا عن الفاقة التي تعرضت لها المدينة في فترات متقطعة، خاصة مجاعة ٩٢٦-٩٢٧هـ/١٥٢٠-١٥٢١م[٢٤٢]، والتي نتج عنها نقص شديد في المواد الغذائية، مما دفع سكان أزمور إلى بيع ذويهم لمسيحي الثغور، ثم يعرضون أنفسهم للبيع مقابل قفة من التين أو العنب[٢٤٣]، حتى ذُكر أنه كان يباع بأزمور في تلك المجاعة ما يقارب الألف شخص يوميًا، وأنه غادر ميناء أزمور في يوم واحد قرابة الخمسين مركبًا محملة بالعبيد من سكان أزمور[٢٤٤].

ودلت الوثائق البرتغالية على هذا التراجع الهائل في اعداد السكان حتى أوضح بعض المؤرخين أن الغزو البرتغالي افقد المنطقة ما بين ٣٤ إلى ٤٤% من قوة سكانها [٢٤٥]في بدايته، حتى أنه مع حلول عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م لم يبق بأزمور سوى أربعة آلاف شخص، وأغلبهم من الحامية البرتغالية إلى أن وصل عدد قاطني أزمور عام٩٣٦هـ/١٥٣٠م إلى ستمائة وثمانين شخصًا منهم اثنا عشر قسيسًا، وعدد من البحارة[٢٤٦].

٢- ومن تأثيرات الغزو البرتغالي على أزمور، ما فرضوه على الأزموريين من ضرائب ومكوس، وذعائر- عقوبة تخويف- أثقلت كاهلهم، حيث كانت الضرائب تحصل من الحبوب، ففرضوا على كل قبيلة ألف حمل جمل من القمح[٢٤٧]، وإذا لم تتوفر الحبوب تكون الضرائب من موارد أخرى كالعسل والشابل، وأحيانا المواشي أو نقدًا[٢٤٨]، كما فرضت مكوس على السلع الداخلة إلى اسواق أزمور، وقد عانى الأعراب الوافدون على سوق أزمور من كثرة هذه المكوس[٢٤٩]، فضلًا عن فرض ضريبة على كراء مخازن الحبوبفي المدن[٢٥٠] .

ومن أشكال المغارم التي فرضت على الأزموريين ما يطلق عليه الذعائر، وهي عبارة عن غرامات مالية تفرض على من يرتكبون بعض الأمور، كالتشاجر أو العصيان وغيره كنوع من التأديب والتخويف، وكانت الذعائر تؤدى نقدًا أو ما يعادلها من البهائم[٢٥١]، ووصل الأمر أن الكنيسة طالبت

مسلمي أزمور تأدية الأعشار لها كما يفعل المسيحيون حسب معتقدهم الديني[٢٥٢]، ناهيك عن مصادرات الأملاك، فضلًا عن أخذ الخمس من متاع من يحضر من البادية لزيارة قريب له في أزمور الحاضرة[٢٥٣].

٣- وطال الخراب موارد أزمور الفلاحية، حيث تقلصت الرقعة الزراعية، وتم التخلي عن الزراعة بسبب الغارات المستمرة على البوادي والمناطق الزراعية، فتراجع بذلك إنتاج الحاضرة من الحبوب، حيث بدأت أزمور بعد عام واحد من الاحتلال تشكو من مجاعة مع حلول عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م[٢٥٤] ، واستمر تراجع انتاج الحبوب بشكل يهدد المنطقة غذائيًّا مع حلول عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م[٢٥٥] ، وتأثرت أسعار القمح نتيجة لتراجع إنتاجه، فارتفعت الأسعار حتى وصلت نسبة الارتفاعات في٩٢٢هـ/ديسمبر ١٥١٦م إلى ١٥٠% بالمقارنة لنسبة سعر القمح عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، واستمرت الزيادة في سعر القمح حتى عام ٩٤٦هـ/١٥٤٠م بنسبة ٣٥٠%[٢٥٦]، واضطر السكان إلى الخروج إلى البوادي " للعيش من قطف ما تقدمه الطبيعة من نباتات وعسل"[٢٥٧] .

وطال الاستنزاف الثروة الحيوانية، حيث تزايد الطلب بعد الاحتلال على الأبقار، فارتفعت أثمانها حتى وصل سعر البقرة عام ٩١٨هـ/١٥١٢م إلى ١٣٠٠ أو ١٤٠٠ ريال بعد أن كان ثمنها في العام السابق إلى ١٠٠٠ ريال[٢٥٨]، ومع مجاعة عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م نتيجة للجفاف الذي أصاب المنطقة انخفضت أسعارها حتى بيع رطل اللحم بريالين، وأصبح ثمن البقرة بخسًا، حتى إن ثمن الجلد كان يغطي ثلث ثمن شرائها[٢٥٩]؛ وذلك لعدم توافر المراعي الخاصة بها.

كذلك شمل الخراب القطاعات المائية بالمدينة؛ كالآبار والنطافي فأصبحت يابسة، وأشار أفوقاي[٢٦٠] إلى ذلك أثناء رحلته إلى المنطقة إلى وجود عدد من الآبار اليابسة ما بين مازغان وتيط وأزمور.

٤- أما على مستوى صيد الشابل، قام الاحتلال بكراء حق صيد الشابل لبعض

التجار دون عامة الناس، فأصبح هذا النشاط الحيوي لأزمور بأيدي من لهم إمكانيات مالية كبرى، بعد أن كان مسموحًا لجميع أهالي أزمور[٢٦١]، وأوضحت الإيصالات الخاصة ببيع الشابل مدى قلة إنتاجه بعد الاحتلال البرتغالي، فبعد أن كان انتاجه عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م يصل إلى (١٥٠،٠٠٠) شابلة نقص الإنتاج في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م إلى (١٤,٤٧٦) قطعة من الشابل، حتى السفن التي كانت ترسو بميناء أزمور خصيصًا لشراء الشابل أو صيده يُذكر أنها توقفت تمامًا مع حلول عام٩٢٨هـ/ ١٥٢١م[٢٦٢]، وبدأ التجار يتحولون من تجارة الشابل إلى تجارة العبيد؛ لقلة إنتاج الشابل، ولأن مردود تجارة العبيد أصبح أكثر رواجًا من تجارة سمك الشابل[٢٦٣].

٥- ووصل تأثير هذا الغزو على مساحة ورقعة أزمور، ونشاط سكانها، فتقلصت أعداد المدن والبوادي التابعة لأزمور، وتحول أغلبها إلى قلاع عسكرية، حتى إن الحاضرة أصبحت مجرد ثكنة عسكرية بعد أن كانت مركزًا تجاريًا نشطًا، وقام البرتغاليون بتضييق رقعتها، وتحويلها إلى قلعة حصينة تختلف في شكلها، وطريقة بنائها عما يحيط بها، فضاقت مساحتها وأصبحت قاصرة على القسم المشرف على نهر أم الربيع، ثم الاحتفاظ بالسور الغربي[٢٦٤]، وهُدم جانبان من السور أحدهما جهة أزمور، والآخر نحو آسفي[٢٦٥]، ولذا يرى عز الدين كرا[٢٦٦] "أن البنية المعمارية للمدينة القديمة أصبحت بنية مبتورة، وهذا ناتج عن التطورات التاريخية التي شاهدتها أزمور خلال فترة خضوعها للاحتلال البرتغالي"، وربما يرجع تضييق مساحة أزمور إلى قلة ساكنيها بعد الاحتلال، وقلة عدد حاميتها مما حدا بالقائد البرتغالي بأزمور (سيما وكوريا) بأن يطلب من الملك إيمانويل عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م بأن يرسل له عددًا من سكان البرتغال؛ لتعمير بعض الأحياء بأزمور، وللدفاع عنها، لأن السور واسع جدا، ويتطلب قوات كبيرة، خاصة بعد إخلاء المدينة من سكانها، واقترح

أيضًا هذا القائد تفكيك أبراج السور من الجهة المشرفة على المدينة وغلق الأبواب[٢٦٧] .

أما عن أنشطة المدينة، أصبح النشاط العسكري هو المسيطر على ميناء أزمور والموانئ التابعة له كتيط، ومازغان، واقتصر نشاط هذه الموانئ على استقبال السلع والمساعدات والمؤن التي يحتاجها جنود الاحتلال[٢٦٨]، كما تخلى الأعراب عن الزراعة وعاشوا من بيع الحطب والحشائش[٢٦٩]، واضطر سكان الحاضرة أزمور تحت شدة وطأة الجوع والفقر، العمل في المنشآت العسكرية التي شيدها الاحتلال البرتغالي، حيث كانوا يصنعون لهم الجير المستخدم في إقامة وتشييد الأسوار والتحصينات العسكرية[٢٧٠] .

٦- ومن أشكال الدمار الذي لحق بالمدينة تخريب العمائر الدينية، والمؤسسات العلمية والثقافية، فدُمرت مدرسة أزمور الشهيرة التي شيدها السلطان أبو الحسن المريني[٢٧١]، وهُدمت كثير من مساجد أزمور، حتى إن مسجدها العتيق الموجود بقصبتها حُول إلى كنيسة[٢٧٢]، كما تراجع دور المؤسسات العلمية، نتيجة استيلاء البرتغاليين على الأوقاف التي كانت تنفق على تلك المؤسسات من جنان ودور وحوانيت[٢٧٣]، فضلًا عن هجرة علماء وفقهاء المدينة[٢٧٤]، فقل عدد القادرين من سكان أزمور على القراءة والكتابة [٢٧٥].

٧- كما أثر الغزو البرتغالي على التشكيل الاجتماعي لأزمور، حيث تفككت الأسر نتيجة لغارات الاحتلال الذي صاحبه إما الموت أو الأسر[٢٧٦]، حتى العلاقات التي كانت تربط القبائل بعضها ببعض تأثرت ففقدت وحدتها ولحمتها[٢٧٧] ، واضطرت القبائل العيش على حساب الأخرى، فتكونت جماعات من السُّراق تجوب المنطقة للإغارة والسلب، فلا تميز بين صديق أو عدو[٢٧٨] ، كما تأثرت الأفكار والمعتقدات للمجتمع الأزموري، حتى أحدث الغزو بلبلة خطيرة في كثير من أفكار

الأزموريين[٢٧٩]، وتأثرت عناصر السكان وعلاقاتهم مع بعضهم البعض، وخاصة أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى المقيمين معهم في المدينة[٢٨٠] ، حيث كثر اعتداء مسلمي أزمور على النصارى واليهود، لدرجة أنهم لم يعودوا يجرؤون على مغادرة سفنهم أثناء صيد الشابل بنهر أم الربيع، خشية من هجمات المسلمين عليهم [٢٨١] .

ونتيجة لهذا الدمار والخراب نجد أن البرتغاليين عند إخلائهم لأزمور عام ٩٤٧هـ/١٥٤١م تركوها على وجه مخالف للوجه الذي وجدوها عليه عند احتلالها، حيث تضررت المدينة في كل أوجه نشاطاتها، وتركها البرتغاليون على وضع لا يسمح بإعادة تعميرها؛ جراء الاستنزاف الحاد الذي طال كل موارد أزمور.

الخاتمة :

تتبعت الدراسة تأثير نهر أم الربيع على المجتمع الأزموري في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين في العديد من مجالات مدينة أزمور، وتبين ما يلي :

- تَميُّز مدينة أزمور يرجع إلى موقعها على الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، فضلًا عن اطلالتها على المحيط الأطلنطي، ونهر أم الربيع يعد من أطول أنهار المغرب وأعظمها، وأزمور هي مدينة المصب لهذا النهر الذي يخترق العديد من المدن والقرى المغربية، ولذا مثَّل وادي أم الربيع قلبًا نابضًا، ومحركا لأنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وأيضا السياسية، فأضحت أزمور بفضل هذا الموقع المتميز محط أنظار، ومقر استقرار للعابرين والوافدين، ومصدرًا لثروات أزمور.
- أثَّر نهر أم الربيع على النشاط الفلاحي لأزمور، والمتمثل في الزراعة والثروة الحيوانية، حيث جعل أراضيها سهولًا فسيحة ذات تربة شديدة الخصوبة، مما مكن للمدينة وأحوازها من نشاط زراعي كثيف، وخاصة في الحبوب (القمح– الشعير)، حيث كان يتوفر من القمح إنتاج ضخم يضمن

لأزمور فائضًا كبيرًا سمح بتصديره، ولذا أصبحت أزمور مركز جذب شديد لتجارة الحبوب والأقوات، فضلا عن توافر المراعي الطبيعية والبوادي الصالحة لتربية الأغنام والمواشي والإبل، هذا بالإضافة إلى انتشار خلايا النحل على طول نهر أم الربيع مما جعل المدينة تتميز بإنتاج أجود أنواع العسل والشمع.

- يعد نهر أم الربيع من أهم مصايد سمك الشابل، حيث حبا هذا النهر أزمور مجال صيد غني لهذا الصنف الذي تميزت به أزمور، حيث لم يكن له شبيه في بقية أنهار المغرب في مذاقه وجودته، فضلًا عن وفرته، وكان موسم صيده جعل من أزمور قبلة يشد إليها الصيادون والتجار من الداخل والخارج الرحال؛ لصيده أو للتجارة، وضمن هذا الشابل لأزمور مداخيل مهمة ساهمت في انتعاش المدينة اقتصاديا.
- ترتب على المجال الفلاحي، وصيد الشابل صناعات عدة اشتهرت بها أزمور، كصناعة الملابس الصوفية، وصناعة الجلود ودباغتها، وترتب على الشابل صناعة مراكب الصيد، فضلًا عن صناعة الأدوات المستخدمة في الصيد كالشباك والعقاب، وأيضًا تجفيف الشابل وتمليحه وتصديره للخارج، كما استخلص منه الزيوت التي كانت مصدرًا أساسيًّا للإضاءة، كما ساهم الطمي المستخرج من نهر أم الربيع في وجود صناعة الفخار والخزف.
- وبفضل خيرات أزمور وأحوازها والتي كان نهر أم الربيع هو الباعث لها في جميع المجالات، فضلًا عن توافر ميناء مهم للمدينة يطل على المحيط الاطلنطي، جميع هذه المقومات جعلت من أزمور مدينة تجارية مهمة أقبل عليها تجار أوربا، والإسبان، والبرتغال، فشهد ميناؤها حركة ملاحية وتجارية نشطة، حيث كانت الحاضرة مخزنًا للغلال، والسلع التي يحتاجها التجار الأجانب وخاصة البرتغاليون، الذين استفادوا من منتجات أزمور في مبادلاتهم التجارية مع سواحل أفريقيا الغربية، ومنطقة السودان

الغربي، والتي كانت تمد البرتغاليين بالتبر والعبيد مقابل منتجات أزمور من حبوب، وملابس صوفية، وخيول، وسهَّل نهر أم الربيع اتصال التجارة بين الداخل والخارج عند مصبه بأزمور؛ عن طريق ما يطلق عليه نظام المسافنة، وهو نقل السلع من المناطق الداخلية عبر زوارق تستخدم كواسطة لشحن تلك السلع من مجرى نهر أم الربيع إلى السفن التجارية الضخمة الراسية بميناء أزمور، فساهم بذلك كل من النهر والميناء من جعل أزمور ضمن التيارات الاقتصادية العالمية.

- أثَّر هذا الازدهار الذي عايشته أزمور على مستوى معيشة سكانها، وساهم في ذلك الجوار التفاعلي بين وادي نهر أم الربيع وأزمور، فجعل أزمور نموذجًا للمدينة المتحضرة في تعاملاتهم، وملابسهم، ومساكنهم، يديرون شئونهم بنظام أفضل من الآخرين في محيطهم الجغرافي، وربما ساهم في ذلك اتصالهم بالتجارة البرتغاليين.
- لا يمكن أن نغفل تأثير نهر أم الربيع في الجانب العلمي والصوفي للمدينة، وحدوث نهضة علمية وثقافية بها، حيث نافست أزمور أكبر المدن المغربية آنذاك في الجانب العلمي، والصوفي، وذلك بفضل رباطاتها، وأولياؤها وعلماؤها الأفذاذ، حيث أُعتبر ساحل أزمور موضعًا للأولياء ومدرسة للمتصوفين، فضلا عن انتشار المؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد، كما ساهم علماؤها وأولياؤها في ربط الصلات الثقافية والروحية بين المغرب وأجزاء من العالم الإسلامي.
- وكما كان نهر أم الربيع، وميناء أزمور مصدر نعمة ورخاء لأزمور كان مصدر نقمة للمدينة، حيث أصبحت هدفا مرصودا ومطمعا من قبل البرتغاليين، حيث تمكن البرتغاليون من احتلالها عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م، وعمل هذا الاحتلال على أفول نجم أزمور، وخبو تأثيرها، حيث لم يجلب هذا الاحتلال سوى الخراب والاستنزاف لمقدرات المدينة، فتراجعت أنشطتها في كافة مجالاتها، وترك البرتغاليون أزمور بعد احتلال دام ثمانية وعشرين

عاما في وضع لم يسمح بإعادة تعميرها عام ٩٤٧هـ/١٥٤١م، فجفت ضروع وادي نهر أم الربيع، وتعرضت أزمور للانهيار والتدمير، ولم تقم لها قائمة إلا بعد فترة كبيرة.

الملاحق:

ملحق رقم (١)

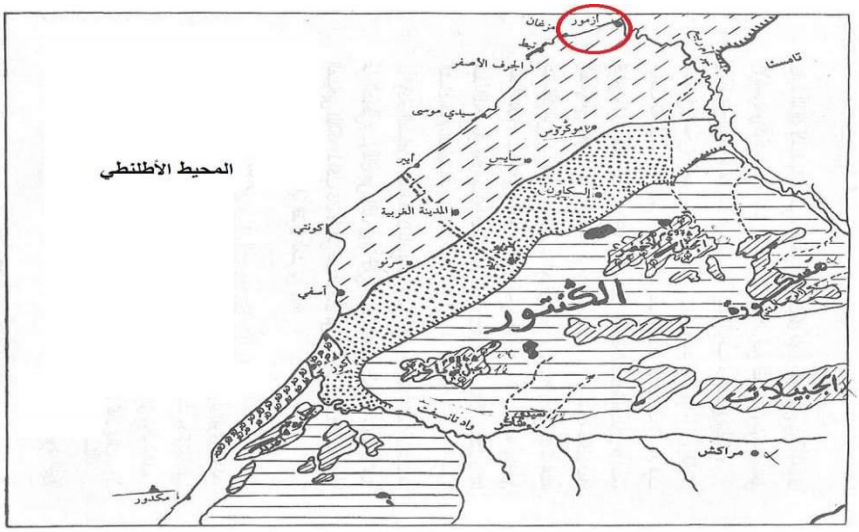

ملحق رقم (٢)

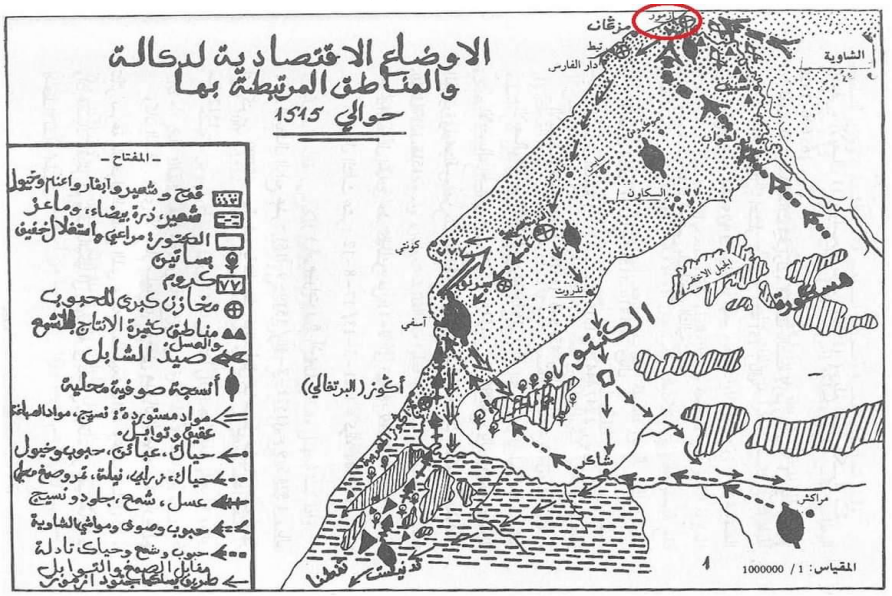

ملحق رقم (٣)

أزمور: الإيصال الأول : يوليو ١٤٨٦/ فبراير ١٥٠١م

نقلا عن بوشرب: دكالة والاستعمار البرتغالي ص٥٦٩-٥٧٠

نخبر أننا كلفنا (م.رينيلm.reynel)، الفارس ببلاطنابفيطورية أزمور حيث بعثناه وذلك لمدة خمس عشرة سنة، والتي ابتدأت في نهاية يوليو من سنة: ***يوليو ١٤٨٦/ فبراير ١٥٠١م***، وتبين أنه توصل خلال هذه المدة من فيطوريتنا بدار لامينا بالسلع والأشياء التالية:

- من الأثواب العريضة المجلوبة من لندن و(أنطونة antona) و(بريسطوسbeistol): ٢٦ قطعة.
- ومن نفس الثوب : ١٣٠ ذراعًا.
- ومن نفس الثوب الملون بالأحمر الفاقع : ٤ قطع.
- ومن الأثواب الانجليزية : ٦١٨ قطعة.
- ومن الأمشاط : ٩٨٠٠.
- ومن ثوب (غالفيgalvey): ٥٥١ لفيفة.
- ومن القبعات: ٢٠٠ دزينة.
- ومن فواكه "الغرب": ١٣٠ قطعة.
- ومن الفضة: ١٠٥ مارك،٣ أواق، ٦ أثمان.
- ومن البردات: ٦٢٨ قطعة.
- ومن الشابل: ١٥٠٠٠٠.
- ومن ركائز البناء: ٢٤٦.
- ومن خشب الصنبور: ٣٥ دزينة.
- ومن الأثواب الفرنسية والبريطانية: ٥١٧,٥ فار.
- ومن الأثواب نصف هولندية: ١٠٠ فارا.
- ومن الحياك: ١١٥ فارا.

- ومن الشمع: ٩٨١ ربع،١٤ ليبرة.
- ومن العبائن: ٢٠ (الحنابل).
- ومن البهار الغيني: ١ ربع.
- ومن القطن: ٧٠ق.
- ومن حبات السبحة البلورية: ٢٠كيسا.
- ومن النيلة ٩١٩ق، ٢ ربع، ٩ ليبرة وربع.
- ومن الخمر: برميل.
- ومن الصوف: ٧٤٠ ق.
- وخيمتان.
- ومن الأموال: ٨٩٩٢٠ " دوبرة " بقيمة ٣٢ ريال لكل واحدة. (.... تبرئة ذمته...) وحرر بلشبونة يوم ١٠ دجنبر من سنة ١٥٠١، على يد (ج. داموطاjoham da mota).

الإيصال الثالث (أزمور) يناير ١٥١٤- مارس ١٥١٧م

نقلًا من بوشرب : دكالة والاستعمار البرتغالي ص ٥٧٣-٥٧٤

" أصدرنا الآن أوامرنا بمحاسبة (لورنسو دو فريطاسL.deFreitas)، الفارس ببلاطناوفيطور مدينتنا أزمور بشأن كل الموال والسلع والأشياء التي توصل بها وأنفقها بأمر منا بالمدينة المذكورة والفيطورية خلال الثلاث سنوات والخمسة أشهر التي ابتدأت يوم فتح يناير من سنة ٥١٤، وانتهت في آخر مارس من هذه السنة الحالية،٥١٧، والتي توصل خلالها بما يلي:

من الأموال : ١١٩٣١٧٣٤ ريالاً كالتالي :

٦٨٢٧١٠٠,٥ ريال، قيمة سلع باعها بعد توصله بها من ضابطنا، وبأمر منا، وضمنها ٤٢٦١١٦ ريالا توصل بها من (يهودا بن زميروا) من السلع المذكورة.

- ٢٦٥١٠٨ ريالات من الضرائب وبيه الشابل.. (كذا).

-١٥١٤٢٢ ريالًا حصيلة المكوس المفروضة على السلع الداخلة إلى المدينة أو التي تخرج منها.

- ١١٧٥٧٠٠ ريال، حصيلة الواجبات الجمركية
-٣٥١٢٤٠٣ ونصف ريال من الأشخاص الآتية أسماؤهم:
- ١٤٠٠٠٠٠ ريال من (ب.دو .فرغاسB.de.Vargas)، أمين صندوق (دار لامينا).
-٤٠٠٠٠٠ ريال من (أ. فاس A.VAZ)أمين أموال مخزن توابل (دار الهند).
- ٥٠٠٠٠٠ ريال من (أ.د. كدفال.A.de cadaval).
- ٥٠٠٠٠٠ ريال من (د.ف. كبرالD.F.cabral).
- ٢٢٠٠٠ ريال من (نونو غاطوnunogato).
-٢٣٣٠٠ ريال من (أزدو توجالA.do tojal).
-٤٤٦٠٠ ريال من ضباط (stagruzada) المدينة المكورة.
- ١٨٢٦٠ ريالا مع بيع عدد من الخيول التي سلمت كضريبة وبيعت ل(ب. دو. سيشاش p.de.sexas) وشركائه.
- ٤٦٩٠٣ ريالات كجزء من الأموال التي كان البعض يدين بها لنا.
- ١٣٢٤٤٠,٥ ريال كان يدين بها بعض السكان ل(غ. فاس (a.vaz)، الفارس ببلاطنا...
-٢٨٠٠٠٠٠ ريال من القمح الذي توصل به من (برامbaram)، المشرف على أملاكنا العقارية.

ويعطي مجموع هذه الأموال بالسجل المذكور المبلغ المذكور: ١١٩٣١٧٣٤ ريالا، والذي حصل عليه من الأموال المذكورة ومن بيع السلع كما ذكر. وهكذا يكون قد توصل بالفعل بهذه الأشياء المذكورة بهذا الإيصال، كما توصل بأخرى كثيرة ذكرها بسجل الحسابات المذكورة، والتي تم السكوت عنها هنا.... وتوصل كذلك:

- من الشابل: ١٤٤٧٦ قطعة.
- ومن البهار: ٧٣ ق، ١ ربع، ٣٠ رطلا.

- ومن الصمغ الحمر: ٢٢٧ ق، ١ ربع ٢٠رطلا.
- ومن الصمغ الأسود: ٤٠ ق، ٤ ربع ١٥ رطلا.
- ومن البردات: ٦٥٢٦ قطعة.
- ومن الأثواب البريطانية: ١٧٢٤٨ فارا.
- ومن الكسي (الحياك): ١٩٠ قطعة.
- ومن الحياك :٢٤٠ قطعة.
- ومن الأثواب الملونة بخشب البرازيل: ٧٧٠٩ أذرع. وأشياء أخرى كثيرة ومتنوعة.... (تبرئة ذمته). حرر بلشبونة يوم ٣ دجنبر من سنة ١٥١٧ على يد (ج. دو. بوتة johan de porto).

٣- إيصال شراء الحبوب بمازغن

نقلًا من بوشرب : دكالة والاستعمار البرتغالي ص ٥٨١

أمرنا (ج.رفيرودا)، محاسبنا (كنتدورنا) بمراجعة حسابات (غ. فيلو gonalovelho)، الفارس ببلاطنا بشأن كل ما توصل به لشراء القمح الذي طلبنا اقتناءه بمازيغن، وبمراجعة تلك الحسابات، ظهر أنه توصل:

- من الفضة: ٦٥١ مارك أوقية وثلاثة أرباع الثمن وذلك كالتالي: ٢٧١ مارك و٣ أثمان وربع من (أ. دوفغيرanrique de fighuere) القابض سابقًا "بدار لامينا" ٤٣٤ مارك، ٦ أثمان ونصف من (ج. بشيكونj.pachco).
- ومن القمح: ٩٧٦ مدًّا،٣٦ الكير، سعة كل مد،٦٠ الكير، توصل بها من نفس الشخص لشراء الفضة المذكورة... (تبرئة ذمته...)

وحرر بلشبونة يوم ٢٢ فبراير من سنة ١٥٠٤ على يد (ج. مونييj. moniz).

ملحق رقم (٤)

zضريح مولاي بوشعيب السارية

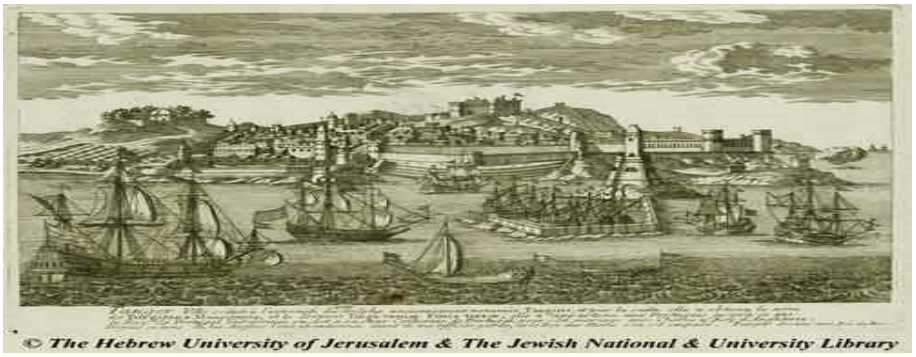
© The Hebrew University of Jerusalem & The Jewish National & University Library

صورة تخيلية لحركة التجارة بميناء أزمور

صورة تخيلية لالتقاء نهر أم الربيع بالمحيط الأطلنطي عند ميناء أزمور

الـهوامش:

(١) المقدمة، من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبط المتن والحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار،، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/٢٠٠١م، جـ١، ص٥٠، ٦١، ٦٢.

(٢) نهر أم الربيع: ذهب بعض المؤرخين إلى أن وادي أم الربيع تم الإشارة إليه في عهد الأمير القرطاجي (حانون) أثناء رحلته التي قام بها إلى ما وراء عمود هرقل (بوغاز جبل طارق) إلى الجنوب في القرن الخامس قبل الميلاد، وورد في المؤلفات الإغريقية والرومانية القديمة تحت اسم (نهر كوفة)، كما أورد آخرون بأن اسمه (ماسنات)، ولكن بناء على ما جاء به بوليب في رحلته (٢١٠-١٢٥ق.م) بأن اسم نهر أم الربيع هو (أناتيسanatis)، وهو يبعد عن رأس نون بـ٤٩٦ميلا، و٢٠٥ميلاً من ليكسوس، وهناك مسمى آخر لأم الربيع وفق ما جاء به بطليموس، وبلين الشيخ (٢٣-٧٩م) وهو (أزانا asana) حيث وصف ميناءه بأنه ممتاز، وحدد موقعه بين وادي فوت ومدينة سلا، أي جنوب نهر أبي رقراق، وذهب ستيفان كزل إلى أن نهر أناتيس هو نفسه أزانا (رشيد: المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين (القرن السادس ق.م، والقرن السابع ب.م)، ط١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، صـ١٤، ١٥، ص٤٧، ٤٨، التازي: أزمور مولاي بو شعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب، مجلة المناهل، العدد (٣٥)، ١٤٠٧هـ، ص٩٢، كربخال: أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد زنيبر وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، جـ٢، صـ٨٧، ميشوبلير: مدينة أزمور وضواحيها، ترجمة وتعليق: محمد الشياظمي، سلسلة مدن وقبائل المغرب، سلا،١٩٨٩م، ص٣٩) وذكر البكري أن نهر أم الربيع يسمى (وادي وانسيفن) وهو باللهجة الأمازيغية يعني وادي الوديان أو نهر الأنهار، وتبعه في ذلك المراكشي والحميري (البكري: المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، دار الغرب الاسلامي، د.ت،ط٢، ص٨٤٤، المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص٤٥٠، الحميري: الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، جـ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص٦٠٥).

(٣) المراكشي: المعجب، ٤٢٤، ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص١٣٣، التازي: أزمور مولاي بوشعيب، ص٩٢.

(٤) جبل درن: جبل معترض في الصحراء، وهو فاصل ما بين الصحراء والساحل، منه ينفجر كل نهر في المغرب، ويختلفون في تسميته، فأهل فاس وسجلماسة يسمونه (درن)، والمصامدة يسمونه (بشكوا)، وهوارة تسميه (أوراس) (البكري: المسالك والممالك،ج٢، ص٢٨٣).

(٥) تادلا: إقليم تادلا يبدأ عند وادي العبيد غربا، وينتهي من جهة الشرق عند نهر أم الربيع، ويحتل في الجنوب جبال الأطلس الكبير، بينما يكون في اتجاه الشمال رأسا، يلتقي فيه هذان النهران، ويضم جميع البوادي الممتدة بين النهرين قبل التقائهما، لأنها يفصلان بعد ذلك إقليم دكالة عن إقليم تامسنا إلى أن يصب في البحر تحت اسم نهر أزمور، وهو جزء من مراكش (كربخال: أفريقيا، ج٢، ص١١٦)

(6) E.Doutte, Marrakech ,paris,1905,p.230

(٧) تامسنا: إقليم تابع لمملكة فاس، يبتدئ غربا عند نهر أم الربيع، وينتهي شرقاً إلى نهر أبي رقراق، والاطلس جنوبا وشواطئ البحر المتوسط شمالا، وسكنها العرب المهاجرون من هواره في عهد بني مرين، ويطلق عليهم الشاوية (ابن الخطيب: نفاضة الجراب في غلالة الاغتراف، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبدالعزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت، ص٣٢٨، هامش (٢)، حسن الوزان: وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الاسلامي،١٩٨٣م،ج١، ص١٩٤، كربخال: أفريقيا،ج٢، ص١٢٦).

(٨) دكالة: إقليم دكالة يبتدئ من جهة الغرب عند نهر تنسيفت على حدود حاحا، ويمتد نحو الشمال حتى المحيط الاطلنطي، يقع إقليم مراكش جنوبه، ونهر أم الربيع شرقه فاصلا إياه عن إقليم تامسنا، ثم يصب في المحيط قرب نهر أزمور، يكثر فيه القمح، وقطعان الماشية ومعظمه سهول، ويقطنه البربر، وتقدر مساحته بحوالي ٧٧٠٠ كم٢ تقريباً، طولها ما بين ١٧٠ إلى ١٨٠كم٢، وعرضها حوالي ١٢٠ كم٢، شمالا، و٣٠-٣٥ كم٢ جنوبا، والفاصل يقدر ما بين شماله وجنوبه بثلاثين مرحلة (المرحلة تقدر ب٥٥٥٥م) ؛ ويُقطع في أربعة أيام (كربخال: أفريقيا،ج٢، ص٧٠، الكانوني: آسفي وما إليه قديما وحديثا، مصر،١٣٥٣هـ، ص١٧٣، بوشرب: دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م،ص٧٤، M.ferre- j.ruhaid,Ressources en eau du Maroc.t.II.flaines et bassins du maroclantique- rebat, 1975,p.261.

(٩) الكانوني: آسفي، ص١٧٣.

(١٠) ابن الخطيب: نقاضة الجراب، ص ٢٣٨

(١١) التازي: أزمور مولاي بو شعيب، ص٩٢، حليمة بنكرعي: العنصر العربي والمجال في مغرب ١٤٥٩-١٥٤١م، بادية الواجهة الاطلنطية نموذجا،ط ١، مكتبة دار السلام، الرباط،٢٠٠٠م، ص١١٦-١١٨.

(١٢) ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص٣٢٨، يذكر أن ابن خلدون: أن هذا النهر يعظم مده إلى البحر فينتهي إلى سبعين ميلا أو ما يقاربها، والميل يقدر ١،٦٠٩٣كم (العبر، ج٦، ص١٣٣).

(13) jean darlet, monographie de la villed,azemmour in bulletined l,enseignement public aumaroc, janvier, 1954,p10

(١٤) أحمد المكاوي: إفادات عن أزمور اعتمادا على الكاتب السويدي (de hemso) عن المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، المغرب، ٢٠٠٤م، ص٣٢.

(١٥) رشيد: المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، ص١٦.

(١٦) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٢هـ،٢٠٠٢م، صـ٢٣٧-٢٣٨.

(١٧) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٥٨.

(١٨) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٦٠٥.

(١٩) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، طبع المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ،١٩١٥م، ج٥، ص١٧٢، حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧

(٢٠) يذكر أن من أسس أزمور أمراء صنهاجة البربرية، بدليل ما أورده ابن الخطيب بأن لسانهم بربري، ويرى المراكشي أن أهم القبائل القاطنة حول وادي أم الربيع هم هسكورة، وصنهاجة (ابن الخطيب: معيار الاختيار، صـ١٥٨، ١٥٩، المراكشي: المعجب، ص٤٢٤، ابن سباهي زاده: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك تحقيق: المهدي عيد الرواضية، ط١، دار الغرب الاسلامي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٤٦)

(٢١) بو شرب: دكالة، ص٨٨، عبدالله فلي: معطيات أثرية حول المجال العمراني لمدينة أزمور، الجديدة، المغرب، د.ت، ص٨١

. Michauxbellaive, villes et tribus du maroc, region des doukkala , T. II,paris,1932,p.22

.DeGoisDamiao,lesportugais au maroc de 1495 a 1521 trad, robertricard, Ed, felix de moncho, rabat , 1937, p.104

(٢٢) عبداللطيف عوام: وادي أم الربيع الصعود والانحدار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، المغرب، ٢٠٠٤م، ص٢٥٤.

(٢٣) ذكر ابن الزيات التادلي اسماء لمدن وقرى ورباطات ومراكز تابعة لأزمور من خلال تراجمه، ومنها: ايفغل، ومركز ايغيور، وافوجك، وأنوميرغن، ووازكارت، ورباط تالوتن، وتاسوفيطت، وتاسماطت، وقرية تايرافلت، وتميغين، وتاكدورت، وتوصف، وتيصرصام، ورباط أيسين، وتيط(التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط٢، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ١٩٩٧م، الصفحات (١١٣، ١٨١، ١٨٥، ١٨٩، ٢٢٥، ٢٨٦، ٣٠٨، ٣٨٧، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢٠) واعتبر حسن الوزان أن مدن تمراكشت، والسُبيت، وترغا(تركا)، وبولعوان من توابع الحاضرة أزمور (وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٤-١٥٥) وذكر ابن الخطيب أن مرسى مازغان (الجديدة) تابع لأحواز أزمور (نفاضة الجراب، ص٢٦، ٢١٨).

(٢٤) مرسي الغيط: هي ايير قرب الوليدية، وهو من مراسي المغرب ما بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين

Rosenberger: note surkous,inHesperistamuda ,1967)

(٢٥) آسفي: رباط ومدينة على ساحل الاطلنطي بالمغرب، وتقع بين مدينتي مازغان والصويرة، وتعني بالعربية المصب أو المنارة، وهو مرسى مراكش، حيث تبعد عنها ب١٥٥كم٢ (حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٤٧، الكانوني: الجواهر الصفية في تاريخ الديار الآسفية، ج٢ من تاريخ آسفي وما إليه، تحقيق: علال ركوك، ومحمد بالوز، مطابع الرباط، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، ٢٠١٥م، ص٩).

(٢٦) مازغان: تقع على شاطئ الاطلنطي بين أزمور ورباط تيط، احتلها البرتغاليون أواخر القرن التاسع الهجري، وتعرف اليوم بالجديدة، وبها ميناء جيد تزاحم التجار الايبريون لشراء القمح بها (البكري: المسالك والممالك، ص٧٦٢، الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢٤٠،

Cenival, p. th, monod , description de la cote d, afripued`rceuta au seneg al par valentinfernandes (1506-1507) , paris,1938,pp.29-442)

(٢٧) تيط: مدينة قديمة تقع على بعد أربعة فراسخ (١٢ ميلاً) أي بما يقدر19,3كم من مازغان في اتجاه الغرب، وتبعد عن أزمور بنحو38,6كم، وباديتها واسعة، وأهلها لديهم خبرة بالتجارة، وبها رباط يسمى باسمها، وارتبط باستقرار آل امغار بها نموها (حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٢، كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٨٥،

H. Bascet et H. terrasse, sanctuaires et forteresses al monades: le ribat de TiT , hesp ,1927,t.VII: 2e trim,pp.117,171)

(٢٨) حليمة بنكرعي: العنصر العربي، ١٤٨، أحمد المكاوي: إفادات عن أزمور، ص٣١.

(٢٩) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧.

(30) Ricard, mazagan et le Maroc sous le regne du sultan moulayzidan (1608-1627) , paria ,1956,p.130

(٣١) بو شرب: دكالة، ص٥٨.

(٣٢) أحمد المكاوي: افادات عن أزمور، ص٣٢.

(٣٣) معيار الاختيار، ص٦٩: ٧٣.

(٣٤) نفس المصدر، ص١٥٨.

(٣٥) أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م، ص٧١.

(٣٦) نزهة المشتاق، ٢٣٧.

(٣٧) أفريقيا، ج٢، ص٨٧، ص١٠١، ١٠٣، ص١١٦.

(٣٨) ابن قنفذ، أنس الفقير، ص٧١.

(٣٩) بو شرب: دكالة، ص٥٣، ٦١.

(٤٠) يذكر أن رباط تيط وما حوله كانت منطقة غابات، ولقد أشار الأزموري إلى وجود غابة حولها، لأنه عندما اتاها وجد شيخ صنهاجة (آل أمغار) في غابة، كما أكدت ذلك وثيقة برتغالية وصفت تيط بأن بها الكثير من الأشجار والحشائش (بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم ١٣٤٣،

j.Depois ,Raynal,Geographie de l,afrique du Nord – quest, payot – paris, 1967,p.280)

(٤١) حليمة بنكرعي: أزمور في فترة الاحتلال البرتغالي، ندوة: أزمور حاضرة دوكالة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، ٢٠٠٤م، ص٩٩.

(٤٢) يذكر الوزان أن حمل الجمل يقدر بسبعمائة رطل ايطالي أي بما يعادل ٢٣٧كجم، ويقدره كويش بأنه يساوي ٤٠كيرًا. أي بما يقدر تقريبا ب٤٤٨كجم، وهذه الأرقام ليست بجازمة، بقدر أنها تؤكد على ضخامة انتاج محصول القمح (وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٥، هامش (٦٧) بوشرب: دكالة، ص١٠٨).

(٤٣) عز الدين كرا: معطيات أثرية حول المجال العمراني لمدينة أزمور في العصر الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ندوة أزمور حاضرة دوكالة، الجديدة، ٢٠٠٤م، ص٨٤،

s.i.H.M,port,t.II,p.553)

والمطامير: تعَود سكان أزمور وضواحيها على تخزين حبوبهم بها، كما يذكر بأن القمح الذي كان يحفظ في هذه المطامير يبقى مدة طويلة مخزن بها دون أن يناله عطب أو تتغير رائحته (حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٣)، كما وجد مثلا اندلسيا يدل على كثرة المطامير المخصصة لتخزين القمح بإقليم دكالة، والتي تعد أزمور حاضرته، وهو " شاهد دكالة من قاع المطمورة " (الزجالي: أمثال العوام في الاندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية والتعليم الأصلي، فاس، ١٩٧٥، قسم ٢، ص٤٣٣، مثل رقم (١٨٨٩).

()) . cenival, description de la cote d, afrique, p.29

.Ricard (Robert) ,la cote at lantique du marocaudebut du XVIe siècle d,après des insturctionnoutiquesportugaises,Hesp. 1927, T.VII ,2e trim,p.244

(٤٥) ابن الزيات: التشوف، ص١٩٠.

(٤٦) يعد القمح من السلع الاستراتيجية التي تحتاجها الاندلس، حيث كان اعتماد الاندلسيين عليها إلى حد كبير، حتى أن ذلك أوجد مثلا اندلسيا وهو " لول وكالة ما خدمت البال " وهذه اشارة الى اعتماد الاندلسيين على حبوب دكالة (الزجالي: أمثال العوام، قسم ٢، ص٢٨٧، مثل رقم(١٢٤٧).

(٤٧) بو شرب: دكالة، ص١٠٤، ١٠٥.

Ricard , de commerce de berberie et l,empireportugais.A.I.E. d.Alger,T.II,1936,p. 285

(48) Goulven (j) ,le cercle des doukkalaou point de vueecconomique ,paris,1917,p.44

(٤٩) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧، ويذكر أن اسحق بن أبي الحسن الامغاري حفيد أبي عبدالله الأمغاري كان يمتلك جنات من أعناب ومحارث وولجات على ضفة البحر (الأزموري: بهجة الناظرين، ورقة ٢١٩).

(٥٠) ابن الزيات: التشوف، ص١٩٠.

Du Foucq(ch.E) ,l,Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIVE siècle. p.u.f,paris,1966,p.548

(٥١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢٣٧، الحميري: الروض المعطار، ص٦٠٥، الكنوني: آسفي وما إليه، ص١٧٣.

(٥٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢٣٧.

(٥٣) ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص٧٤.

(٥٤) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص٧١.

(٥٥) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٥، ويذكر كربخال: أن سكان بولعوان كلهم حراثون فلاحون، ولهم كمية هائلة من الماشية الصالحة للرعي (أفريقيا، ج٢، ص١٠٢).

(٥٦) كربخال: نفس المصدر، ج٢، ص١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

(٥٧) يذكر أن البرتغاليين حصلوا بعد غاراتهم على ضواحي أزمور على ما يعادل خمسة آلاف من الماعز، والف من البقر، وثلاثمائة جمل.

p. cenoval – monod, Descripliondela cote ,p.299; Ricard,le cote atlantique, p.244

(٥٨) الحميري: الروض المعطار، ص٣٥، ٦٠٥، كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٧٠.

(٥٩) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢٣٧، الكانوني: آسفي وما إليه، ص١٧٥-١٧٦.

(٦٠) الحميري: الروض المعطار، ص٣٥.

(٦١) حليمة بنكرعي: أزمور في فترة الاحتلال البرتغالي، ص١٠٥،الكانوني:نفس المرجع، ص٣٥

(٦٢) بو شرب: دكالة، ص١٠٩،

S.I.H.M,Port.ii,p.476

(٦٣) كربخال: أفريقيا، ج٢، ص١٠١.

(64) M.witte,lebullespontificalesetl,expansionportugaise au xv esiecle , "revue E cclesiatique,1956,p.418n.1

(٦٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢٣٨.

(٦٦) الإدريسي: نفس المصدر، ص٣٤، ٣٥، حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧، كربخال: أفريقيا، ج١، ص٣٤، الكانوني: آسفي، ص٥١، سمك الشابل يعرف في بعض المعاجم بالصابوغة، وتعد المنطقة الوسطى لمصب نهر أم الربيع من أهم مصايد أسماك الشابل بالأنهار المغربية (الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، مطابع سلا، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، م١٥، ص٥٢٢٩-٥٢٣٠).

(٦٧) عبد اللطيف عوام: وادي أم الربيع الصعود والانحدار، ص٢٦١.

(68) Jean Darlet: Mongraphie de la ville d, azemmour p,37

(٦٩) معيار الاختيار، ص١٥٨.

(٧٠) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧.

(٧١) حسن الوزان: نفس المصدر، والجزء والصفحة.

(٧٢) بوشرب: دكالة، ص٢٩٢، ٥٦٩، انظر الملحق رقم (٣)

Archive hisoticeportuges, port Iv , p.239, 240 ,446, 447

(٧٣) عبد اللطيف عوام: وادي أم الربيع الصعود والانحدار، ص٢٦٢.

(٧٤) كريخال: أفريقيا، ج١، ص٣٥، احمد المكاوي: إفادات عن أزمور، ص٣٢.

(٧٥) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧، كريخال: أفريقيا، ج٢، ص٨٧، الكانوني: آسفي، ص٥١.

(٧٦) حسن الوزان: نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٧٧) أُذيعت العديد من الحكايات والقصص حول سمك الشابل بأزمور، منها أن الشاب إذا أراد الزواج بفتاة أرسل إليها بأهله يخطبونها ومعهم سمكة الشابل، فتقوم الفتاة بطهيها وتهيئتها، فإذا أفلحت خطبها، وإن لم تفلح تركها إلى غيرها، فضلاً عن التنوع في طبخ سمك الشابل (عبد اللطيف عوام: وادي أم الربيع الصعود والانحدار، ص٢٥٩، ٢٦٤).

(٧٨) ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص٨٧، ٨٨.

(٧٩) عبد اللطيف عوام: وادي الربيع: الصعود والانحدار، ص٢٦٥.

(٨٠) ابن الزيات: التشوف، ص١٨٣.

(81) R.Ricard:un document portugaissur la place de mazaganau debut du xvII siècle ,paris,1932,p.10.

(٨٢) ابن الزيات: التشوف، ٢٣٣، الازموري: بهجة الناظرين، ورقة ١٨٢، ٢١٢، ٢٢٢.

(٨٣) انظر ملحق رقم (٣).

(٨٤) يذكر أن رعاة أزمور كانوا يقومون بتربية الأغنام بأعداد كبيرة لدرجة أنها كانت تضايق الابقار في المراعي من كثرتها (بو شرب: دكالة، ص١١٠، ٢٨٣).
S.I.H.M,Por T.III,p.476.

(٨٥) الحائك والكسوة: عبارة عن ملحقة يرتديها الرجال والنساء، وتقوم مقام الثوب، وهو شبيه بالإزار، ويُرتدي أثناء النهار، ويمكن استعماله ليلا كغطاء (دوزي: المعجم المفصل باسماء الملابس عن العرب، ترجمة: دكتور أكرم فاضل، ط١، الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٣٠-١٣١).

(٨٦) الجلباب: مصنوع من قماش صوفي غليظ، وهو شبيه بما يعرف بالبدن، لكنه أطول وذو أكمام وغطاء للرأس (دوزي: المعجم المفصل، ص١١١.
p.cenival.Monod, description de la coted d,afrique , p.331.

(٨٧) الحنابل أو العبائن: ثوب صوفه سميك، يشبه البساط الصوفي، ويستعمل كفراش وأحيانا كغطاء، فضلاً عن كونه مختلف الألوان (دوزي: المعجم المفصل، ص٢٥٩، ٢٦٤، بو شرب: دكالة، ص١١٢).

(٨٨) حليمة بنكرعي: أزمور في فترة الاحتلال البرتغالي، ص١٠٦.

(٨٩) بو شرب: دكالة، ص٢٤٩، حليمة بتكرعي: العنصر العربي، ص١٩٣، ٢٠٢.

(٩٠) بو شرب: دكالة، ص١١١.

(٩١) عبداللطيف عوام: وادي أم الربيع الصعود والانحدار، ص٢٦٣.

(٩٢) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧.

(٩٣) سيدي وعدود: هو محمد بن عبد الودود المعروف عند سكان أزمور بسيدي وعدود، أو سيدي عبدالودود السملالي، كان ورعا تقيا، صاحب خلوة في فناء الضريح الخاص به، والواقع في المنطقة الفاصلة بين أزمور والبحر المحيط بالضفة اليسرى لنهر أم الربيع، ويذكر عنه أنه كان طبيب زمانه يعالج بالأعشاب، عاش قبل حكم المرابطين، وتوفى في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (مقال بعنوان: ضريح سيدي وعدود بأزمور: محمد الماضي، علي الموقع الالكتروني(azemmourinfo 24.com) تاريخ المطالعة ٢٠١٨/٨/١٥م).

(94) MartidezNicale , Essaisuresapectssymoliques et religieux de poterie d, azemour, these de 3e sycele. motpellier , 1966,p.34

(٩٥) عز الدين كرا: معطيات أثرية حول أزمور، ص٨٣، كما دلت وثيقة برتغالية على وجود صناعة الفخار بأزمور منذ القرن السابع الهجري (بو شرب: دكالة، ص٥٨٥، ملحق رقم (٣)، الماجري: المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، ط١، مصر، ١٩٣٣م، ص٣٤٨).

(٩٦) حليمة بنكرعي: أزمور في فترة الاحتلال البرتغالي، ص١٠٦.

(٩٧) بو شرب: دكالة، ص١١١.

(٩٨) جاء في إحدى الوثائق الإسبانية أن أزمور كانت من المراكز المغربية المحيطية التي تاجر معها الكتالونيون بداية من النصف الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، حيث يذكر أنه في عام ٧٣١هـ/١٣٣١ توجهت مركب من ميورقة صاحبها يد في sestay)) تجاه أزمور بهدف التجارة.

(Du fourcq (ch.e) , l,espqangecatalone ,pp.136, 597 et note 8,p.159)

(٩٩) بوشرب: دكالة، ص١١٢، عبداللطيف عوام: نهر أم الربيع، ص٢٦٢.

(١٠٠) سبتة: بلدة مشهورة بقواعد المغرب، مرساها من أجود المراسي على البحر، وتقابل جزيرة الاندلس على طرف الزقاق، وبينهما وبين فاس عشرة أيام، والبحر يحيط بها شرقا وشمالا وقبلة، ولها ميناء جيد ترسو سفن التجار فيه، غزاها (يوحنا الأول) ملك البرتغال واستولى عليها (البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٧٩، ٧٨٠، ياقوت

الحمـوي: معجـم البلـدان، دار صـادر، بيـروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٣، ص١٨٢، كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٢١٦).

(١٠١) أصيلا: مدينة قديمة على بعد ٢٣٥ ميلا من فاس، و٣٥ ميلا من مضيق جبل طارق جهة الغرب، وكانت من أشهر المدن من حيث البضائع أو الأسلحة، وبها سوق حافلة، ولها مرسى مقصود من قبل التجار (ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص١٥٠).

(١٠٢) آنفا: مدينة عامرة، بين الرباط وأزمور على شاطء المحيط، على بعد ستين ميلا شمال الأطلسي، ومثلها شرق أزمور، بها ميناء صغير يقصده تجار أوروبا، وأرضها خصبة، وسكانها متحضرون بسبب علاقتهم التجارية مع الغربيين، وسبب تخريبها أن سكانها كانوا يقوموا بعمليات قرصنة للسفن على الشواطئ الغربية المسيحية، مما دفع ملك البرتغال (الفونسو) إلى تخريبها عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م، وهي حاليا تعرف بالدار البيضاء (الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢٤٠، حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٦٩، ١٧٠، كربخال، أفريقيا، ج٢، ص١٢٧).

(١٠٣) تم احتلال بعض المواني الشمالية المغربية من قبل البرتغاليين، بسبب وصولهم إلى سواحل افريقية المصدرة للذهب، فتحتم عليهم تفاديا للمنافسة المغربية إغلاق كل موانئه واحتلالها، مثل ميناء سبتة عام ٨١٨هـ/١٤١٥م، والذي كان يعد بمثابة ناقدة للمغرب على البحر المتوسط، وله علاقات تجارية مع الأوربيين وكذلك ميناء أصيلا عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م، والذي كان يعد من أهم المواني المصدرة للتوابل والعقاقير، أما ميناء آنفا يرجع احتلاله من قبل البرتغاليين ؛ لأنه اعتبروه مأوى لقراصنة البحر، وهذا الاحتلال لتلك المواني الحيوية لبلاد المغرب وشمال أفريقيا، زاد من مكانة دكالة، وخاصة موانيها المطلة على المحيط الأطلنطي.

. v.M.Godinho,leconomie de l, empire portugais aux xvIe et xvie siècles paris, 1969 p.539; les grandesdecouvertes,et des millions Ae tavern stock sur amazon, B.E.p.T.xvI,1952,pp.16-17; voscocarblo,la domination portugues.au maroc,Losbonna,1936,p.17.

(104) R. Ricard ,le commerce , artcite ,p.10.

(105) j.Heers,Genes au xv siecle.activite e conomique et problemessociaux, sflammarion 1961,p.p.341.342.

(١٠٦) يُذكر أن البرتغاليين وصلوا إلى جزيرة أرغين عام ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، وتم تنظيم التجارة لها عام ٨٥٩هـ/١٤٥٥م، وكانت هذه المنطقة من أهم المراكز التي تزود التجارة البرتغالية بالعبيد والتبر، .(R.Ricard, le commerce, artcite,p.14)

(١٠٧) بو شرب: دكالة، ص١١٤، ١١٥.

(١٠٨) عُرف عن البرتغاليين أنهم كانوا يجلبون الأنسجة الصوفية من حياك وحنابل من تونس وبجاية وتلمسان ووهران للمتاجرة بها مع السودان الغربي والموريتانيين، ثم تنبهوا إلى وجود ميناء أزمور الواقع في طريقهم، حيث تتوفر بها هذه السلع، وأن بإمكان أزمور تغطية احتياجاتهم منها، فضلا عن توافر القمح والخيول، ولذا أصبحت السفن المتجهة نحو أرغين تتزود باحتياجاتها من ميناء أزمور، (R.Ricard, le commerce, artcite,p.15)

(١٠٩) يذكر أنه لم يدخل وادي أم الربيع من أغسطس إلى سبتمبر عام ٩٠٧هـ/١٥١٣م سوى سفينة واحدة كبيرة، واثنتين صغيرتين في وقت الصيف، وذلك لتراكم الحواجز الرملية عند مصبه (مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، ص٢٧).

(١١٠) حليمة بنكرعي: أزمور في فترة الاحتلال البرتغالي، ص١٠٦، أحمد المكاوي: إفادات عن أزمور اعتمادا على الكاتب السويدي، ص٣٣، الجيلالي ضريف: مازيغن الصنهاجية، ص٢٦

(111)Damiao de Gois, coronica de felicissimoreidommanoel, 1949, pp.105, 117.

(112) S.I.H.M,port,T.I,p.586.n.1.

(١١٣) حليمة بنكرعي: أزمور في فترة الاحتلال البرتغالي، ص١٠٦،
Ferhat(h) ,sabta des origins au 14 siecle, rabat, 1994,p.310.

(١١٤) بوشرب: دكالة، ص١٣٥.

(115) v. Godinho,L,Economie, opcit,p.178

(١١٦) عبداللطيف عوام: وادي أم الربيع، ص٢٥٩.

(١١٧) ابن الزيات: التشوف، ص١٧٠.

(١١٨) معيار الاختيار، ص١٥٩.

(١١٩) بوشرب: دكالة، ص١٣٦.

(١٢٠) بوشرب: نفس المرجع، ص١٠٥.

(121) S.I.H.M,port,T.Ipp.74, 83.

(١٢٢) بوشرب: نفس المرجع، ص١٣٥،S.I.H.M,porT.I.p.95.

(١٢٣) يذكر أن تجار أزمور كانوا يحملون سلعهم إلى مالقا وغيرها من مدن الأندلس والبرتغال، وآخر اشارة وصلت عن تنقلاتهم إلى العدوة أندلسية تعود إلى عهد السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨) (ابن الزيات: التشوف، ص١٦٩،

السلاوي الناصري: الاستقصا لتاريخ المغرب الأقصا، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ص١٩٩٧م، ج٢، ص١٢٩).

(١٢٤) بوشرب: دكالة، ص٩٤، عبداللطيف عوام: وادي أم الربيع، ص٢٥٨.

(١٢٥) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٤.

(١٢٦) حليمة بنكرعي: أزمور في فترة الاحتلال البرتغالي، ص١٠٥.

(١٢٧) بوشرب: دكالة، ص١٠٩، ١١١.

(١٢٨) أحمد المكاوي: إفادات عن أزمور، ص٣٣.

(١٢٩) كان ميناء تيط يستقبل عددًا من المراكب التجارية، حيث كان يتوفر على حوض يمكن استقبال عشرة مراكب،

H.Bescet et H.temase, sanctuaires et frotersses al mohades: le ribat de T.t Hesp.1927 t.v.II: 2e trim ,p.171

ويذكر حسن الوزان أن سكانها كثير الاتصال بالتجار البرتغاليين (وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٢).

(١٣٠) مازغان: توفر لديها ميناء جيد، تزاحم عليه التجار الايبريون لشراء القمح، وذكر الدوق (دوبرا غانص) الذي غزا أزمور أن مازغان تتوفر على أحسن موانئ العالم،

(R.cenival- Monod, Description de la cote ,p.29)

(١٣١) دار الفارس: ذكر الرحالة البرتغالي بربرا هذا الميناء بأنه يوجد هنا كثير من القمح والشعير، وغالبا ما تأتي السفن لشرائه،

(R.Ricard: la cote atlantique ,p.245)

(١٣٢) بو شرب: دكالة، ص١١٣، ٢٨٤،

S.I.H.M,port,t.I,p.80n,3

(١٣٣) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧، الكانوني: آسفي وما إليه، ص٥١، يرى كربخال أن واجب الصيد المؤدي لأزمور من صيد الشابل ينيف على ثمانية آلاف مثقال (أفريقيا، ج٢، ٨٧)، والمثقال يعادل تقريبا بـ(٤٢٠ ريالًا فضيًّا) (بوشرب: دكالة، ص٢٥٩).

(١٣٤) حسن الوزان: نفس المصدر، ج١، ١٥٧، كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٨٧.

(١٣٥) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص١٥٩.

(١٣٦) عبداللطيف عوام: وادي أم الربيع، ص٢٦٤،

Jean Darlet: Monographile de la villed , Azemmour,p.37

(١٣٧) كربخال: أفريقيا، ج٢، ص١٠١.

(138) Witte: les bullespontifica les et L,expansionportugaise au xve siècle, Revue d, histire ecclesia stique p.418

(١٣٩) بوشرب: دكالة، ص٣٠٦، ٣٢٣ S.I.H.M,port.T.I,p.51.

(١٤٠) بوشرب، نفس المرجع، ص٣٠٧.

(١٤١) البردات: أثواب قطنية تجلب من مصر (بوشرب: دكالة، ص٣٣١، هامش (٤٧)).

(142) S.I.H.M,port.T.I,p.53n.5.

(143)S.I.H.M,port.T.I,p.366

(144) f. Mouro- le xvIeme siècle ,Aspects e conomiques,p.u.f.paris ,1966, pp.136-137

(145) f. Mouroopcite ,pp.126-127

(146) Archivonocional do torre do tombo, Doc. arabes, Maco.2Doc.n.60

(١٤٧) حليمة بنكرعي: العنصر العربي، ص١٩٥: ٢٠٠، وتقدر العملات على النحو التالي، فالمثقال يقدر بـ(٤٢٠ ريالًا)، أما الأوقية حوالي (٣٣٣ ريالًا) وتساوي الأوقية عشرة دنانير، والثمن يعني ثمن دينار أي ٤ ريالات، وهي عبارة عن قطع معدنية صغيرة جدا (بو شرب: دكالة، ص٢٩٤، ٢٩٥) ويذكر أن أزمور توفرها عملة ذهبية، حيث تعتبر إحدى نهاية طريق التبر،

(Godinho: l, e conomie ,p.178)

(١٤٨) لمعرفة مقادير هذه الأوزان (انظر: بوشرب: دكالة، ص٢٩٣)، وأورد بيغولوتي أن قنطار أزمور يزن (١٠٠ رطل)، وأنه يعادل القنطار الخفيف المتداول بآسفي، ويبدو أن الرطل يعادل (١٦ أوقية) علما بأن الأوقية تساوي (٣٣,٣٣ جرام)، والصاع المغربي يساوي أربعة أمداد، والمدد رطل وثلث (المنوني: ورقات عن الحضارة المغربية في العصر المريني، ص١٠٥، نشاط: الجنوبون بآسفي من منتصف ٧٨٩هـ/ ١٣م إلى منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م، أعمال الندوة العلمية، تاريخ دكالة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، المغرب، ٢٠٠٢م، ص٥٢-٥٣)،

Pegolotti(f) ,la praticadellamercatura, e dition Allan Evans, combridge, 1936,pp.273-277).

(١٤٩) عبدالله الحسيني: التصوف وأهل التصوف في دكالة، أعمال اليوم الدراسي، رباطات وزوايا في المغرب، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، ٢٠٠٤م، ص٢٤٠، عبدالرزاق جعنيد: مشاهير أعلام أزمور، ندوة أزمور حاضرة دوكالة، الجديدة، ٢٠٠٤م، ص١٧٨.

(١٥٠) ابن مرزوق: المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوسبيغيرا، تقديم: محمد بو عياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٦٣.

(١٥١) محمد الحضيكي: طبقات الحضيكي، تحقيق: أحمد بومزكو،ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٥.

(١٥٢) التشوف إلى رجال التصوف، ص١١٣، ١٨١، ١٨٥، ١٨٩، ٢٢٥،٢٨٦، ٣٠٨، ٣٨٧، ٤٠٨، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢٠.

(١٥٣) عبد القادر العافية: آل أمغار ودورهم في التوجيه الروحي، دعوة الحق، العدد (٢٧٦)،١٩٨٩م.

(١٥٤) بوشرب: دكالة ص١٣٠، الحسيني: التصوف وأهل التصوف، ص٢٤١ عبدالقادر حمدي: مدينة أزمور من خلال كتب الرحلات، ص١٧.

(١٥٥) احمد الوارث: ظاهرة التصوف بدكالة، كلية الآداب، جامعة أبي شعيب الدكالي، الجديدة، د.ت، ص٦.

(١٥٦) سعد بو عياد: دكالة والمد الثقافي بأفريقيا والمشرق العربي في العصر الوسيط، ندوة دكالة تاريخ وفكر، منشورات جامعة شعيب الدكالي، ١٩٨٩م، ص١١٤.

(١٥٧) ابن الزيات: التشوف، ص١٨٥.

(١٥٨) آل أمغار: ينسبون إلى اسماعيل بن سعيد آل أمغار من أهل المغرب الأقصى، سكن أولاً أزمور بعد نزوحه من السوس، ثم استقر في رباط تيط، وبدأ بتدريس العلوم الدينية، وارشاد الناس إلى تعاليم الاسلام الصحيح، وترجع بعض المصادر نسبهم إلى (محمد بن عبدالله بن إدريس)، وصاهروا الصنهاجيين وجاوروهم، حتى عرفوا بالشرفاء الصنهاجيين، وكان لهم دور كبير في الإصلاح الديني لمجتمع دكالة، وكانوا محل تقدير أمراء البلاط المرابطي، وهم من أشاروا عليهم بانشاء سور حول (مراكش)، وذلك مع بدايات الهجوم الموحدي على عاصمتهم، كما شكلوا جبهة معارضة قوية ضد الموحدين لتأييدهم للمرابطين، ومثل آل أمغار في تيط ظاهرة، صوفية عملية تنشر العلم، وتحارب الانحرافات العقائدية، فكانوا يتوارثون الصلاح، كما يتوارث الناس المال (ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبدالهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤م، ص٣٥٤، ابن قنفذ: أنس الفقير، ص٢٢، عبدالكريم التميمي الفاسي: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد،

تحقيـق: محمـد الشـريف، نشـر كليـة الآداب، جامعـة الملـك عبـدالله السـعيدي، ط١، تطوان،٢٠٠٢م، ص١٣٣، الأزموري: تقييد في ذكر شرفاء المغرب وصلحائه وقبائله، مخطـوط بالخزانـة العامـة، الربـاط، رقـم (د١٥٩٥)، ورقـة:١٦٦، صـباح الشـيخلي: آل أمغار، دراسة في تركيب وبناء المجتمع العربي الصنهاجي في مدينة أزمور في القرن الخـامس الهجـري، مجلـة البحـث العلمـي، مجلـد ١٨، العـدد ٣٣، ١٩٨٢م، ص١٧٠: ١٧٤، الكانوني: آسفي، ص١٦-١٧).

(١٥٩) اعتبر على بن يوسف بن تاشفين المرابطي (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٣م) أن عبدالله محمد أمغار شيخ المشايخ من الإسكندرية إلى السوس الأقصى ؛ لأنه قدوة الأولياء، وعهدة الأصفياء، ويذكر أنه هو من أشار عليه ببناء سور لمدينة مراكش، كما حظى في عهده باهتمامه ومكانه سامية (صباح الشيخلي: آل أمغار، ص١٧٨، محمد الدباغ: أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، مطبعة النجاح، الجديدة، ١٩٩٢م، ص٢٦٩).

(١٦٠) ابو شعيب السارية: هو ابو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي من أشهر أولياء أزمور، ولا يزال ضريحه قائما بها يشهد على مكانته الدينية والعلمية، لقب بالسارية لأنه كان يطيل القيام في صلاته، وكان معلما للقرآن الكريم بقرية تليسكاون، وتجاوز صيته حدود أزمور إلى مراكش وغيرها، وتوفى في ١٠ربيع الثاني ٥٦١هـ/١٢٦٢م)، (ابن الزيات: التشوف، ص١٤٤).

(١٦١) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (قسم الموحدين)، تحقيق: محمـد زنيبـر، عبـدالقادر زمامـة، ط١، دار المغـرب الإسـلامي، بيـروت، لبنـان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص٤٤١، عبدالرازق حنعيد: مشاهير أعلام أزمور، ص١٧٩.

(١٦٢) وبسبب كرامات أبي شعيب السارية مدحه السلاوي الناصري بقصيدة قائلا فيها:

ذاك الولي الذي كل النام غدا يتلو مناقبه في السر والعلن
أبو شعيب الذي من بحره انشعبت جداول اليمن في الحياء والمدن
بدراً غدا في سماء المجد مكتملا به علا ذكر أزمور في الوطن

(الاستقصا لتاريخ المغرب الأقصا، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء المغرب الأقصى،١٩٩٧م، ج٢، ص٢٠١).

(١٦٣) ابن مرزوق: المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، ص٤٠٦.

(١٦٤) التازي: أزمور مولاي بو شعيب، ص٩٩.

(165) De premare (A.L) ,les snotes de voyage d,unandoLousie au maroc (1345-1349) Maghreb et andolousie au 14 e siècle, p.u , delyon ,1981, p.17.

(١٦٦) مصطفى نشاط: جوانب من تاريخ أزمور في القرنين ٧، ٨ هـ/١٣، ١٤م، ص٩٤.

(١٦٧) عز الدين كرا: المواقع الاثرية الاسلامية بمنطقة عبده بين النص التاريخي والدراسات الميدانية، مساهمة في وضع خريطة أثرية للمنطقة، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط، ٢٠٠١م، ص٩٨.

(١٦٨) يذكر أن بأزمور سبعة مساجد، تقام الجمعة في خمسة منهم، أعتقها مسجد القصبة (الكانوني: آسفي، ص٥١)، في حين أن هناك من أورد بأن أزمور كان بها حوالي ٢٨ مسجدا في فترة الاحتلال البرتغالي للمدينة وما بعدها (أحمد مدينة: الوجود البرتغالي في المغرب من القرن ١٥ إلى القرن ١٨م، مجلة دعوة الحق، العدد (٢٤٤)، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، حليمة بنكرعي: العنصر العربي، ص١٤٩، ٣٣٩).

(١٦٩) عبدالله الحسيني: التصوف وأهل التصوف، ص٢٤٢.

(١٧٠) الكانوني: آسفي، ص٥٢.

(١٧١) ابن الزيات، التشوف، ص٢٢٥، عبد القادر حمدي: مدينة أزمور من خلال كتب الرحلات، ص١٨.

(١٧٢) محمد المنوني: دور أعلام دكالة في ربط الصلات الثقافية بين المغرب وجهات من العالم الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد (٢٥١)، أغسطس ١٩٨٥م.

(١٧٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج٧، ص٢٥٢.

(١٧٤) السخاوي: نفس المصدر، ج١٠، ص٤١، ٤٢، التمبكتي: نيل الانتاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص٣٠٥.

(١٧٥) ابن الخطيب: نقاضة الجراب، ص٧٥: ٧٧.

(١٧٦) ابن القاضي المكناسي: جذوةالاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ج١، ص١١٠، التمبكني: نيل الابتهاج، ص٢٢٦.

(١٧٧) الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، ج١٤، ص٤٧١٣

(١٧٨) أبو زيد الفاسي: تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبدالقادر، مخطوط الخزانة الحسينية، الرباط، رقم ٦٤٣

(١٧٩) هذه الأرجوزة يقول في مطلعها:

وبعدفالقصد بهذا الرجز وصف المنازل بلفظ موجز

(العباس بن إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق: عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط،١٩٨٣م،ج٦، ص٢٣٩).

(١٨٠) التمبكتي: نيل الابتهاج، ص١٦١، كفاية المحتاج لمعرفة من لبس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، ط١، وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية، الرباط،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٢٥٤، حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، دار الفكر،١٤٠٢هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص١٠٥٣، العباس بن إبراهيم المراكشي، الأعلام، ج٤، ص٦٨.

(١٨١) أورد ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس بعض من علماء أزمور، ص١٠، ١٣٦، ٢٣٨، ٢٤٦،٢٥٠، ٤٠٧، درة الحجال في اسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة، د.ت، ج٣، ص١٣٤، العبدري: الرحلة المغربية، المعروفة برحلة العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط، ١٩٦٨م، ص٢٨٠).

(١٨٢) الكانوني: آسفي وما إليه، ص٥٢.

(١٨٣) عبد اللطيف عوام: وادي أم الربيع الصعود والانحدار، ص٢٥٩.

(١٨٤) معيار الاختيار، ص١٥٩.

(١٨٥) بو شرب: دكالة، ص١٣٥، ١٣٦.

(١٨٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٣٧٢.

(١٨٧) الازموري: بهجة الناظرين، ورقة ٦٥، ابن الزيات: التشوف، ص١٠٩.

(١٨٨) الحكم بأزمور في فترة الدراسة كانت المدينة مستقلة عن السلطة المركزية، حيث نُحى عامل المدينة، حلت محله مجموعة من الأعيان كان من أشهرها اسرة قبيلة الهنائيين، وإلى جانب بعض الأسر الأخرى مثل أسرة اليونسيين، وأسرة ابن القاسم، حيث كان الحكم جماعياً

(S.I.H.M.portugal,tome.I,p.15, 16)

(١٨٩) بوشرب: دكالة ص١٧٥.

(١٩٠) بوشرب: نفس المرجع، ص ١٣٥- ١٣٦.

(191) S.I.H.M.portugal,tome.I,p.74, 83.

يذكر أن عامة أزمور هاجمت مراكب البرتغاليين ونهبتها عام ٩٠٨هـ /١٥٠٢م رغم معارضة الأعيان والتجار والوسطاء، فقرر الملك البرتغالي مقاطعة الميناء، ودامت القطيعة سنتين، فارسل الأعيان، وكبار التجار والوسطاء يطلبون العفو، ويرجون من

الملك العدول عن قراره؛ بسبب تضرر مصالحهم التجارية،، واقترحوا عليه تعويضه، فطلب الملك البرتغالي أن يكون أداء ضريبة السنتين قمحا، وأن يبيع الأزموريون للملك ألفى مد من القمح، وبذكر أن بعض التجار البرتغاليين لعبوا دورا مهما في هذه المصالحة ،

(S.I.H.M.portugal,tome.I,p.87, 95, 98)

(192) Gois, les portugais au maroc ,p.108

(١٩٣) كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٨٧.

(١٩٤) معيار الاختيار، ص١٥٨.

(١٩٥) حليمة بنكرعي: أزمور في فترة الاحتلال، ص١٠٥.

(١٩٦) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٢.

(١٩٧) بوشرب: دكالة، ص١٢٤.

(١٩٨) وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧.

(١٩٩) كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٨٧.

(200) S.I.H.M.portugal,t.I,p.411.

(٢٠١) عبداللطيف عوام: وادي أم الربيع، ص٢٦٥

(٢٠٢) ذكر الوزان مدى ثراء بعض من قرى وبوادي ازمور، ووفرة اراضيهم، وكثرة ثيرانهم التي تحرث الارض، وامتلاكهم للآلاف من الثروة الحيوانية مثل قرية بولعوان، وترغا، والسبيت (وصف أفريقيا، ط١، ص١٥٤، ١٥٥.

(203) Gois,lesportugais au maroc , P.P.64,68,72

(٢٠٤) حسن الوزان: وصف أفريقيا،ج١، ١٥٧، كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٨٧.

(٢٠٥) نفاضة الجراب، ص٧٨، ٧٩

(٢٠٦) يذكر الوزان عند حديثه عن احتلال البرتغال لأزمور، واستيلائهم على المدينة، وفرار أهلها إلى سلا وفاس " وعوقب الأزموريين بهذا الشكل بسبب إغراقهم في اللواط مما يدل على فساد أخلاقهم: (وصف أفريقيا، المصدر نفسه، ج١، ص١٥٨).

(٢٠٧) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص١٥٩.

(٢٠٨) هنري دوكاستر: المصدر الغميسة لتاريخ المغرب (قسم البرتغال)، نقلا عن مدينة أزمور وضواحيها، ترجمة وتعليق: محمد الشياظمي، والحاجي السباعي، سلسلة مدن وقبائل المغرب، مطابع سلا، ١٩٨٧م، هامش ٧٠، محمد بن عزوز: الاحتلال البرتغالي

(البريجة) من خلال المصادر البرتغالية، ندوة دكالة وتاريخ المقاومة بالمغرب، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، فبراير ١٩٩٤م، ص٩٢.

(٢٠٩) نصت المعاهدة، على تعهد سكان أزمور بتنفيذ كل أوامر الملك البرتغالي دون مخالفة، والتزامهم بخدمته، والتعهد بحماية ورعاية التجار البرتغاليين المقيمين بالمدينة، وتسهيل مهامهم، وتوفير دار حصينة لهم، لكي يحفظوا بها سلعهم ويقيموا فيها، واداء ضريبة سنوية للبرتغاليين من سمك الشابل، والقمح، فضلا عن إعفاء تجارة الملك البرتغالي من الجمارك، وشراء كل ما يرغب فيه من سلع، حتى السلع التي كان محرما بيعها للمسيحيين كالخيول (بوشرب: دكالة: ص١٧٨: ١٨١).

(210) S.I.H.M.portugal,T.I,p.15.16.

(٢١١) يبدو أن المصالح التجارية جعلت هؤلاء الأعيان يحتدم بينهم الصراع من أجل الاستحواذ على السلطة، فيزداد التدخل البرتغالي منتهزين هذا الصراع، واستطاعوا بوعود مختلفة، والرشاوي ضرب طامع بآخر إلى أن تمكنوا من هدفهم في التحكم بأزمور، ولكنهم لم يحصلوا على ثقة وطاعة كل سكان المدينة وأحوازها (بوشرب: دكالة: ص١٧٥، فالح حنظل:العرب والبرتغال في التاريخ،ط١،منشورات المجمع الثقافي،الامارات،١٩٧٧م، ص١٠٩).

(٢١٢) بوشرب: دكالة، ص١٣٧، التازي: أزمور مولاي بوشعيب، ص١٠٥.

(٢١٣) في بداية الأمر نظر البرتغاليون للمعاهدة على أنها ضمانة لأسواق وسلع أزمور، وحماية لتجارتهم في المدينة إلى حين توفر الظروف والوسائل التي تمكنهم فيما بعد من احتلالها، ولذا احترموا في بداية المعاهدة بنودها، ولجأوا إلى سياسة الحكم غير المباشر لأزمور؛ رغبة في الاستقرار السياسي للمدينة؛ ليسهل لهما المقام بها وتنشيط تجارتهم، (بوشرب: دكالة، ص١٨٥).

(214) Robert letan, azzemmour et mazagandeux places for tifieesmarocqines aux 16 siecle ,1996,p189.

(٢١٥) يذكر أن أهالي أزمور قاوموا سفن البرتغاليين الحربية، وأغرقوا أغلب قطعه المكونة من ٧٥ قطعة(حسن الوزان، وصف أفريقيا،ج١،ص١٥٧– ١٥٨).

(٢١٦) كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٨٨،Gois,lesportugais , p.108

(217) v.M.Godinho, le grandes de couvertes, B.E.P.t.XVL,1952,pp.32 Ricard , publications portugaisessurl,histoire du maro,hesp,1927,P.49.
. D.Plima, historie de dominacaoportuguesaemcafim, lisboa, 1930,p.107.

(٢١٨) يذكر كربخال أن الأزموريين استخدموا في الدفاع عن اسوار مدينتهم القنابل اليدوية، والأسهم النارية، لمنع تسلق البرتغاليين اسوارها (أفريقيا،ج٢، ص٩٢).

(٢١٩) معلمة المغرب،ج١، ص٣٤٩.

(٢٢٠) بوشرب: دكالة، ص٤٣٧.

(221) S.I.H.M.port, tome.I,p.576.

(٢٢٢) بوشرب، نفس المرجع، ص٣٥٠، جاء في رسالة بعث بها قبطان أزمور (روي باريطو) إلى الملك البرتغالي إيمانويل الأول في أبريل ٩٢٠هـ/١٥١٤م بأنه يوجد على الضفة اليسرى لأم الربيع قائد ومرابط هو سيدي (علي) شيخ أزمور السابق بمعية ١٥٠ من الرماة، وأنهم أثاروا سكان بلعوان، وأنزلوا خمسين رامياً بها

S.I.H.M.portugal,tome.II,p.534.

(223) S.I.H.M.portugal,tome.I,p.408.

(224) Gois,lesportugaisais, p.189.

(٢٢٥) يذكر أنه كان يوجد مكان لتجمع المجاهدين يسمى (مخص الأزموريين) أو مدينة المجاهدين، وتقع في فحص أزمور شرق الجنوب الشرقي لمازغان على بعد ٦ كليو متر ونصف (أبو القاسم الشبري: دكالة وإيالتها: جهة دكالة- عبده، تاريخ وآثار، طباعة بسمة برينت، منشورات جمعية دكالة، الجديدة،٢٠١٢م، ص١٢١-١٢٣) فضلا عن وجود الاربطة ومن أهمها رباط آل أمغار في تيط (عبد الإله وشام: سيدي مصباح أو مدينة المجاهدين، جريدة العلم، العدد ١٧٦٧٤، الخميس ١٧ جمادي الثانية١٤١٩هـ/٨ أكتوبر ١٩٩٨م، ص٦ العمود (١)).

(226) S.I.H.M, port, tome.II,p.550.

(227) S.I.H.M, port, tome.II,p.560.

اشتهرت قبيلة أولاد يعقوب وشيخها ناصر بو دومة بهذا النوع من الجهاد، فعمليات الاختطاف الغفيرة التي حدثت قرب نهر أم الربيع في صفوف البرتغاليين وأعوانهم كانت تتم من قبل أولاد يعقوب، وهذا باعتراف قبطان ثغر أزمور حيث جعلته في حالة استنفار قصوى(أنس الصنهاجي: المغاربة في مواجهة الاحتلال البرتغالي. منطقة دكالة نموذجا، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية جيل البحث العلمي، الجزائر العدد ٣٧، ٢٠٠٧م، ص٤٢).

(٢٢٨) انس الصنهاجي: المغاربة في مواجهة الاحتلال البرتغالي، ص٤٢،

S.I.H.M, port, tome.i,p.166.

(٢٢٩) وجد البرتغاليون بأزمور عند احتلالها ٨٠ مدافعا، Gois,lesportugais , pp.36-36 .

(٢٣٠) حسن الوزان: وصف أفريقيا،ج١، ص١٥٩.

(٢٣١) بوشرب: دكالة، ص٤٦٢.

(٢٣٢) محمد بو خنيفي: ظاهرة نزوح النخبة العالمة عن حاضرة أزمور وضواحيها، رصد لمظاهر وتبيان الأسباب، ندوة، أزمور حاضرة دوكالة، كلية الآداب، والعلوم الانسانية، الجديدة، ٢٠٠٤م، ص١٩١)، كما ذكر أحمد الوارث أن ظاهرة نزوح المتصوفة والفقهاء عن أزمور مظهر من مظاهر العمل الجهادي للحركة الصوفية، وذلك تعبيرا منهم عن رفضهم الخضوع والخنوع لحكم البرتغاليين (التيار الصوفي والجهاد ضد الغزو البرتغالي في دكالة، مجلة قوت القلوب، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، العدد (٥، ٦)، أغسطس ٢٠١٥م، ١٤٣٦هـ، ص٣٥).

(233) S.I.H.M, port, tome.I,p.457.

(٢٣٤) يذكر أن على الرغم من مقاومة سكان المدينة الغربية للاحتلال في مستهله، إلا أنها في النهاية أذعنت، وانتهى الأمر بنهبها، وأسر سكانها، فرحلوا عنها (حسن الوزان: وصف أفريقيا،ج١، ص١٥٣-١٥٤).

(٢٣٥) بنوماكر، ومشنزايه: من أكبر القبائل البربرية، وتنعتها النصوص ببرابرة ما بين أزمور والمدينة الغربية (بو شرب: دكالة، ص٤٤٧)، Gois,lesportugais , pp.60.

(٢٣٦) أفريقيا، ج٢، ص٩٢.

(٢٣٧) السلاوي: الاستقصا، جـ٥، ص٢٠.

(238) S.I.H.M, port, tome.I,p.183,488.

(٢٣٩) عمد البرتغاليون إلى اعتقال شيوخ المتصوفة، والمس بحرمات الزوايا وغيرها من المؤسسات الدينية، وعاثوا فيها فسادا) احمد الوارث: التيار الصوفي والجهاد، ص٣٥، Carvalho, la domination portugues.au maroc (1415-1769) ,1936,p.56, no.1.

(٢٤٠) حليمة بنكرعي: العنصر العربي، ص٢١٦، ٢١٧

(241) S.I.H.M, port, tome.II,pp.7,177,237,237,391.

(242)Gois,lesportugais , p.22,Ricard, les portugais et l, afrique du Nord –ex traits des" annals de jean III de frj.desousa , paris,p.25.

(٢٤٣) بوشرب: دكالة، ص٣١٩.

(244) Bernando. Rodrigues,Anais de arzila, cronicainedita do seculo16,fl, 1561,lopes, Davide melo,1867,p.327.

(245) Rosenberger(B) H.triki,famines et epidemies au maroc.Hesp.tome xv ,fasc unique,1973,p.203

(246) S.I.H.M, port,tome.II,pp.526

(247) Gois,lesportugais , p.75

(248)S.I.H.M, port, tome.I,p.291

(249) S.I.H.M, port, tome.I,p.391

(250) Gois,lesportugais , p.75

(٢٥١) بوشرب: دكالة،ص٢٧١، حليمة بنكرعي: أزمور والاحتلال البرتغالي، ص١٠١، يذكر أن هذه الذعائر مثلت دخلا كبيرا لقبطان أزمور البرتغالي، حيث كانت تسمح له بمدخل يقدر بـ (٢٠٠٠ كروزارد سنويا و٨٠٠ ريال) S.I.H.M, port, tome.II,pp.418,419.

(٢٥٢) بوشرب: دكالة، ص٢٧٢.

(٢٥٣) حليمة بنكرعي: أزمور والاحتلال البرتغالي، ص١٠١.

(٢٥٤) يذكر أن السلطان أحمد الأعرج السعدي (٩٢٣-٩٤٦هـ/١٥١٧-١٥٢٥م) وهو المؤسس للدولة السعدية في حملته على أزمور، اتبع سياسة حرق الأرض التي بسط البرتغاليون عليها نفوذهم، حيث كان يعلم مدى أهمية محصول القمح لهم، فنسف كثير من مزارع القمح، حتى يحرم البرتغاليين الاستفادة منها، فضلا عن غارات البرتغاليين على ضواحي أزمور، مما جعل أهلها يتركون الزراعة، فتراجع محصول الحبوب بشكل عام (بوشرب: دكالة، ص٢٨٣).

(255) S.I.H.M, port, tome.II,P.P.67,147,206.

(٢٥٦) يذكر أن القمح بمازغان (الجديدة) عام ٩٠٨هـ /١٥٠٢م وصل إلى ٨,٤ ريال للكير (الكيل)، وفي عام ٩١١هـ/١٥٠٥م وصل إلى ٢٧ريالًا، وفي عام ٩١٨هـ/١٥١٢م وصل إلى ١٢ ريالًا ثم عاد إلى ارتفاعه مع عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م ليصل إلى ٢٠ريالًا، وفي عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م وصل إلى ٣٠ ريال، حتى وصل سعره عام ٩٢٧هـ/١٥٢١م إلى ٤٠ريالًا

(انظر الملاحق وثيقة شراء الحبوب بمازغن) (S.I.H.M, port, tome.I,p.74,.262,311,754, tome II,p.40) .

(٢٥٧) بوشرب: دكالة، ص٢٨٦.

(٢٥٨) بوشرب: نفس المرجع، ص٢٩١.

(259) S.I.H.M, port, tome.II,p.240

(٢٦٠) رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، المعروفة برحلة أفوقاي الأندلسي، تحقيق: محمد مرزوق، ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي،٢٠٠٤م، ص٤٥.

(٢٦١) بوشرب: دكالة، ص٢٩٢.

(٢٦٢) بوشرب: نفس المرجع والصفحة.

(٢٦٣) بوشرب: المرجع نفسه، ص٢٦٦- ٤٤٥.

(264) Ricard ,sar,lechronologie des fortifiationsportugaisesd,azemmour,mazagane et safi.in.congresso do mundoportugues ,vol.III,t.i.lisbounne,1940,p.110.

(٢٦٥) كربخال: أفريقيا،ج١،ص٩٢

(٢٦٦) معطيات أثرية حول المجال العمراني لمدينة أزمور في العصر الوسيط، ص ٨٠

(267) S.I.H.M, port, tome.I,p.37.

(٢٦٨) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص١٥٧، Gois,lesportugais , .p.104

(269) S.I.H.M, port, tome.I,p.221

(٢٧٠) يذكر أن البرتغاليين استفادوا أكثر من تحصينات أزمور المبنية على الطراز المغربي بالتراب والجير، لكنهم عانوا في تطويعها وترميمها، لذا استعانوا بالمتخصصين من أهل أزمور في ذلك المجال؛ لخبرتهم بطريقة بناءها والمواد المستعملة في ذلك، واشتهر الاخوان (دييغو و فرانسيسكوديأورودا) بوضعهما تصاميم الابراج التي شيدوها بأزمور بدءا من شهر مارس ٩٢٠هـ/١٥١٤م حيث استعانوا بالأزموريين الخبيرين بهذا المجال (بيد روديـاش: البرتغاليون في المغرب عمارة وعمران، ترجمة: أحمد محفوظ، دار غرافيكا، كويمبر، ٢٠٠٠م، ص١٢٠).

(٢٧١) الكانوني:آسفي، ص٥١، مصادر تاريخ المغرب الغميسة، هامش رقم (٤٧).

(٢٧٢) كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٩٢، بو خنيفي: ظاهرة نزوح النخبة العالمة، ص١٩٠، هامش(٢٠)، يذكر أن الاسم البرتغالي لكنيسة التي جعلوها موضع الجامع العتيق بالقصبة (حماية الروح المقدس Inovocation saint esprit).

(٢٧٣) حليمة بنكرعي: العنصر العربي، ص٣٣٩، أزمور والاحتلال البرتغالي، ص١٠٢.

(٢٧٤) أحمد الوارث: التيار الصوفي والجهاد ضد الغزو البرتغالي، ص٣٥-٣٦.

(٢٧٥) بوشرب: دكالة، ص٤٧٢.

(276) S.I.H.M,port, tome.I,p. 522,tome II,pp.30,248.

(٢٧٧) بوشرب: دكالة: ص٤٦٥.

(278) Gois,lesportugais , p.93

(٢٧٩) أصيب المجتمع الأزموري ببلبلة في افكاره بعد الغزو البرتغالي، ومن مظاهر ذلك اعتبروا أن ما هم فيه علامة على قرب الساعة، ومبشر بظهور المهدي، حيث أدعى شخص في منطقة القصر الكبير بأنه عيسى بن مريم عليه السلام، كما ادعى السعديون للمهدوية، وأصبح أكثر الناس ارتباطا بالأولياء، وشعر الأزموريون أن ما هم به هو عقاب من الله؛ بسبب ابتعادهم عن تعاليم الدين، وأن الخلاص في أحياء تلك التعاليم ومحاربة البدع، وتجلي هذا الشعور في ألفية الهبطي، وأقوال المجذوب، وشعر ابن يجبش التازي (ابن عسكر الشفشاوني: دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من أهل القرن العاشر، نشر: محمد حجي، الرباط، ١٩٧٦م، ص١٩، ٧٧، ٨٠، أبو بكر البوخصيبي: أضواء على ابن يجبش التازي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٦مص١٢٣ وما بعدها).

(280) H.Terrasse,histoire du maroc,cosablanca,1950,p.146.

(٢٨١) كربخال: أفريقيا، ج٢، ص٩٨، ويفسر بوشرب أن هذا لم يكن من قبل في تعامل المسلمين مع أخوانهم من أهل الذمة في أزمور، وإنما جاء ذلك وليد ما عاناه الأزموريين من مآسٍ بسبب الاحتلال البرتغالي، وليس وليد تعصب ديني وعداء فطري للأجنبي كما يدعي بعض المؤرخين البرتغاليين، وربما هذا راجع لأن كثير من نصارى ويهود أزمور سهَّلوا للبرتغاليين دخول المدينة، ولعبوا دوراً مهما لصالح التوسع البرتغالي، حيث ضمنوا لأنفسهم دور الوساطة التجارية والسياسية، فسخروا أنفسهم لخدمة البرتغاليين، واعتبر مجاهدو أزمور هذه الأعمال أنها عمالة للاحتلال (بوشرب: دكالة، ص١٣٧، ٤٧١، ٤٧٢).

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات العربية:

- **الأزموري: (ابن عبدالعظيم، (ت بداية ق٩هـ/١٥م)**

– بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم ١٣٤٣، ورقة ٢٥٦

– تقييد في ذكر شرفاء المغرب وصلحائه وقبائله، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم (د١٥٩٥)

- **الفاسي: أبو زيد عبدالرحمن بن عبدالقادر، (ت١٠٩٦هـ/١٦٨٥م)**

تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبدالقادر، مخطوط الخزانة الحسينية، الرباط، رقم ٦٤٣

ثانياً المصادر العربية المطبوعة:

- **الإدريسي: أبو عبدالله محمد بن محمد الحسني (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)**

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٢هـ،٢٠٠٢م.

- **أفوقاي الأندلسي: أحمد بن قاسم الحجري (ت بعد سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)**

رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، المعروفة برحلة أفوقاي الأندلسي، تحقيق: محمد مرزوق، ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي،٢٠٠٤م

- **البكري: (أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/١٠٩٥م)**

المسالك والممالك، تحقيق: أدريانفان ليوفن، وأندري فيري، دار الغرب الاسلامي، د.ت

- **التمبكتي: أبو العباس أحمد بابا بن احمد (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)**

- كفاية المحتاج لمعرفة من لبس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطبع، ط٢، وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية، الرباط،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت

- **حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٨هـ/١٦٥٧م)**

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر،١٤٠٢هـ/١٩٨٨م

- **الحضيكي: محمد بن أحمد (ت١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م)**

طبقات الحضيكي، تحقيق: أحمد بومزكو، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

- **الحميري: محمد عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م)**

الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م

- **ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)**

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- نفاضة الجراب في غلالة الاغتراف، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبدالعزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت

- **ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)**

العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبط المتن والحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار،، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/٢٠٠١م.

- **الزجالي: ابو يحيى عبيد الله بن أحمد القرطبي (ت٦٩٤هـ/١٢٩٧م)**

- أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية والتعليم الأصلي، فاس، ١٩٧٥

- **ابن الزيات: يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي (ت٦٢٧هـ/١٢٣٠م)**

التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط٢، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٧م.

- **ابن سباهي زاده: محمد بن علي البروسوي (ت٩٩٧هـ/١٥٨٥م)**

أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك تحقيق: المهدي عيد الرواضية، ط١، دار الغرب الاسلامي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- **السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م)**

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- **الشفشاوني: محمد بن علي بن عسكر الحسني العلمي (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)**

دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من أهل القرن العاشر، نشر: محمد حجي، الرباط، ١٩٧٦م.

- **ابن صاحب الصلاة: أبو محمد عبدالله بن محمد بن ابراهيم الباجي (ت٥٩٤هـ/١١٩٧م)**

المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبدالهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤م.

- **العبدري الحاحي: محمد بن محمد بن علي بن مسعود (ت٧٠٠هـ/١٣٠٠م)**

الرحلة المغربية، المعروفة برحلة العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط، ١٩٦٨م.

- **ابن عذارى: أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م)**

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (قسم الموحدين)، تحقيق: محمد زنيبر، وعبدالقادر زمامة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- **الفاسي: أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم التميمي (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م)**

المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، نشر كلية الآداب، جامعة الملك عبدالله السعيدي، تطوان،٢٠٠٢م.

- **ابن القاضي المكناسي: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية (ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م)**

جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والورقة، الرباط، ١٩٧٣م.

- **القلقشندي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)**

صبح الأعشى في صناعة الانشا، طبع المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ،١٩١٥م.

- **ابن قنفذ القسنطيني: أحمد بن حسن بن علي الخطيب (ت:٨١٠هـ/١٤٠٧م)**

أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م.

- **الماجري: أحمد بن ابراهيم (توفى صدر القرن ٨٠هـ/١٦م)**

المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، ط١، مصر، ١٩٣٣م.

- **المراكشي: محيي الدين أبو محمد عبدالله التميمي (ت٦٤٧هـ/١٢٥٠م)**

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

- **ابن مرزوق: أبو الحسن محمد بن أحمد التلمساني (ت٨٤٢هـ/١٤٣٩م)**

المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوسبيغيرا، تقديم: محمد بو عياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- **مجهول: (كاتب مراكشي من كتاب القرن ٦هـ/١٢م)**

الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

- **الوزان: حسن المعروف (بليون الافريقي)، (ت٩٥٦هـ/١٥٥٤م)**

وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الاسلامي،١٩٨٣م.

- **ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله (ت٦٢٦هـ١٢٢٨م)**

معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

- **بنكرعي: حليمة:**

العنصر العربي والمجال في مغرب ١٤٥٩-١٥٤١م، بادية الواجهة الاطلنطية نموذجا، ط١، مكتبة دار السلام، الرباط،٢٠٠٠م.

- **البوخصيبي: أبو بكر**

أضواء على ابن يجبش التازي، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ١٩٧٦م.

- **بوشرب: أحمد**

دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

- **بيد روديـاش:**

البرتغاليون في المغرب عمارة وعمران، ترجمة: أحمد محفوظ، دار غرافيكا،

كويمبرا، ٢٠٠٠م.

- **الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر:**

معلمة المغرب، مطابع سلا، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- **حنظل: فالح**

العرب والبرتغال في التاريخ،ط١،منشورات المجمع الثقافي، الامارات، ١٩٧٧.

- **الدباغ: محمد بن عبدالعزيز**

أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، مطبعة النجاح، الجديدة، ١٩٩٢م.

- **دوزي، رينهارت**

المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: د/ أكرم فاضل، ط١، الدار العربية للموسوعات،١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- **دوكاستر: هنري**

المصادر الغميسة لتاريخ المغرب (قسم البرتغال)، نقلا عن مدينة أزمور وضواحيها، ترجمة وتعليق: محمد الشياظمي، والحاجي السباعي، سلسلة مدن وقبائل المغرب، مطابع سلا، ١٩٨٧م.

- **رشيد: مصطفى مولاي**

المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين (القرن السادس ق.م، والقرن السابع ب.م)، ط١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء،١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- **السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)**

الاستقصا لتاريخ المغرب الأقصا، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ١٩٩٧م.

- **السملالي: العباس بن ابراهيم المراكشي (ت١٩٥٩م)**

الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام، تحقيق: عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط،١٩٨٣م.

- **ضريف: الجيلالي**

حول مازيغن الصنهاجية، د.ط، د.ت.

- **فلى: عبدالله**

معطيات أثرية حول المجال العمراني لمدينة أزمور، الجديدة، المغرب، د.ت.

- **الكانوني: محمد أحمد العبدي**

- آسفي وما إليه قديما وحديثا، مصر، ١٣٥٣هـ.
- الجواهر الصفية في تاريخ الديار الآسفية، تحقيق: علال ركوك، ومحمد بالوز، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، مطابع الرباط، ٢٠١٥م.

- **كرا: عز الين**

المواقع الاثرية الاسلامية بمنطقة عبده بين النص التاريخي والدراسات الميدانية، مساهمة في وضع خريطة أثرية للمنطقة، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط، ٢٠٠١م.

- **كربخال: مارمول**

أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد زنيبر وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **ميشو بلير: إدورارد**

مدينة أزمور وضواحيها، ترجمة: محمد الشيظامي، سلسلة مدن و قبائل المغرب، سلا، ١٩٨٩م.

- **الوارث: أحمد**

ظاهرة التصوف بدكالة، كلية الآداب، جامعة ابي شعيب الدكالي، الجديدة، د.ت.

<u>رابعاً: الدوريات العلمية:</u>

- **بنكرعي: حليمة**

أزمور في فترة الاحتلال البرتغالي، ندوة ازمور حاضرة دوكالة، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية، الجديدة، ٢٠٠٤م.

- **بو خنيفي: محمد**

ظاهرة نزوح النخبة العالمة عن حاضرة أزمور وضواحيها، رصد لمظاهر وتبيان الأسباب، ندوة، أزمور حاضرة دوكالة، كلية الآداب، والعلوم الانسانية، الجديدة، ٢٠٠٤م.

- **بو عياد: سعد**

دكالة والمد الثقافي بأفريقيا والمشرق العربي في العصر الوسيط، ندوة دكالة تاريخ وفكر، منشورات جامعة شعيب الدكالي، دكالة، ١٩٨٩م.

- **التازي: عبدالهادي**

أزمور مولاي بو شعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب، مجلة المناهل، العدد (٣٥)، ١٤٠٧هـ.

- **جعنيد: عبدالرازق**

مشاهير أعلام أزمور، ندوة أزمور حاضرة دوكالة، الجديدة، ٢٠٠٤م.

- **الحسيني: عبدالله**

التصوف وأهل التصوف في دكالة، أعمال اليوم الدراسي، رباطات وزوايا في المغرب، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، جامعة شعيب الدكالي، مارس ٢٠٠٤م.

- **حمدي: عبدالقادر**

مدينة أزمور من خلال كتب الرحلات، ندوة أزمور حاضرة دوكالة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الجديدة ٢٠٠٤م.

- **الشيخلي: صباح ابراهيم**

آل أمغار، دراسة في تركيب وبناء المجتمع العربي الصنهاجي في مدينة أزمور في القرن الخامس الهجري، مجلة البحث العلمي، مجلد ١٨، العدد ٣٣،

١٩٨٢م.

- **الصنهاجي: أنس**

المغاربة في مواجهة الاحتلال البرتغالي. منطقة دكالة نموذجا، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر العدد ٣٧، ديسمبر ٢٠١٧م.

- **العافية: عبدالقادر**

آل أُمغار ودورهم في التوجيه الروحي، دعوة الحق، العدد (٢٧٦)، ١٩٨٩م.

- **ابن عزور: محمد**

الاحتلال البرتغالي (البريجة) من خلال المصادر البرتغالية، ندوة دكالة وتاريخ المقاومة بالمغرب، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، فبراير ١٩٩٤م.

- **عوام: عبداللطيف**

وادي أم الربيع الصعود والانحدار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، المغرب، ٢٠٠٤م.

- **كرا: عز الدين:**

معطيات أثرية حول المجال العمراني لمدينة أزمور في العصر الوسيط، ندوة أزمور حاضرة دوكالة، كلية الآدا ب والعلوم الإنسانية، الحديث ٢٠٠٤م.

- **مدينة: أحمد**

الوجود البرتغالي في المغرب من القرن (١٥) إلى القرن (١٨م)، مجلة دعوة الحق، العدد (٢٤٤)، جمادي الأول ١٤٠٥هـ/ يناير ١٩٨٥م.

- **المكاوي: أحمد**

إفادات عن أزمور اعتمادا على الكاتب السويدي (De Hemso) عن المغرب، ندوة أزمور حاضرة دوكالة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة،

٢٠٠٤م.

- **المنوني: محمد**

دور اعلام دكالة في ربط الصلات الثقافية بين المغرب وجهات من العالم الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد (٢٥١)، أغسطس ١٩٨٥م.

- **نشاط: مصطفى**

- جوانب من تاريخ أزمور في القرنين٧، ٨هـ/١٣، ١٤م، ندوة أزمور حاضرة دوكالة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، ٢٠٠٤م.
- الجنويون بآسفي من منتصف القرن ٧هـ/١٣م إلى منتصف القرن ٨هـ/١٤م، اعمال الندوة العلمية، تاريخ دوكالة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، المغرب، ٢٠٠٢م.

- **الوارث: أحمد**

التيار الصوفي والجهاد ضد الغزو البرتغالي في دكالة، مجلة قوت القلوب، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، العدد (٥، ٦)، أغسطس ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

- **وشام: عبد الإله**

سيدي مصباح أو مدينة المجاهدين، جريدة العلم، العدد (١٧٦٧٤)، الخميس ١٧ جمادي الثانية١٤١٩هـ/١٨ اكتوبر ١٩٩٨م.

<u>خامساً: المصادر والمراجع والدوريات الأجنبية</u>:

- Archive Nocional de la torredotombo, en portuges , Doc.Arabes, maco,2 Doc.n.60.
- Bernando. Rodrigues,
  Anais de Arzila, cronicainedita do seculo16, fl,1561, lopes,davide melo,1867

- Boscet.H,terrase,
  Sanctuaires et froteressesalmonades le ribat det,t.Hesp.,1927
- Carvalho,
  La domination protugaise au maroc (1415-1769) , 1936
- Cenival,p.th,monod(traducteurs) ,
  De scription de la cote D,Afrique de ceuta au seneg al par valentine fernandes (1506-1507) , paris,1938
- DarleT,jean,
  Monographie de lavilleD,Azemmour in bulletin de l, ensignementbublic au maroc, janvier ,1954
- De premare (A.L)
  Les notes de voyage d,unandolousie a maroc (1344-1345) Maghreb et andolousie au 14e siècle, p.u, delyon,1981
- Despois(j) ,Raynal,
  Grographie de l, Afrique du Nord – oust, payot paris,1967
- Doutte(E) ,
  Marrakech ,paris,1905
- Dufourcq(ch.e) ,
  L,espagnecatalone et le Maghreb aux xIII et xIvesiecle.p.u.f, paris,1966
- Farahat(h) ,
  Sabta des origins au 14 siecle, robat, 1994
- Ferre (M) ,Rubaid,
  Ressources en eau dumaroc.T.II.flaianes et bassins du Maroc atlantique,rebat,1975
- Godinho,v.M,
  L,ecnomiedel,empireportugais aux xveetxvIe siècle, prais,1969
  Les granddesdecouvertes ,et des millions Aetaveres enstock suramazon,B.E,T xvI,1952
- Gois(damiao)
  Cronica de felicissimoreidommanoel,1949
  Les portugais au maroc de 1495 a1521 trad ,Robert ricard,E d, felix , rabat,1937
- Gulven(j) ,
  Le. cercle des Doukkala au point de vueeconomique ,paris,1917
- Heers,Jacque,
  Grenes au xvsIecle , activiteeconomique et problemessociaux, sflammarion ,1961
- Martidez.Nicale,

Essaisurces aspects symboliquesreligjeux de poterie d, azemour ,these de30 sxcle, Montpellier ,1966

- MichauxBellaive,
  Villes et tribus du maroc , Region des doukkala, T.II,paris,1933
- Mouro(fr) ,
  LexvIe me siècle , aspects e conomiques, p.u.f. paris,1966
- Pegolotti(f) .
  La praticadellamercatura, e dition Allan Evans, combridge, 1936
- Plima,D.
  Historia da domincaoportuguseseucafum, lispou,1930
- Ricard (Robert) ,
- Bublicationsportugaisessurl,histoire du maroc,Hesp,1927
- Un document portugaissur la place de mazagan au debut du xvii siècle , paris 1932
- Le chronologie des frotifationsportugaisesd,azemmour. Mazaganet safi.in.congresso do mundoportugises,VIII.T.I,lisbounne, 1940
- Le commerce de berberie et l,organizationeconomie et de l, empire portugais.A.I.E.D,Alger,1936
- La cote atlantiqu du maroc au debut du XVIe siècle d,pres leslesinstractionsnoutiques portugaises.hesp.1927,T.VII,2e trim
-
- Robert latan,

Azzemmour et mazagandeux places fortifieesmaracained – aux 16 siecle ,1996

- Rosenberger,B.H,
- Note surkous,in,hesperis tamuda,1967
- Sources inedites de l,histoire du maroc(S.I.H.M) seriesaaotienne archives et bibliotheques deportugal,5 volumes,paris.p.geuthner,1926
- Terrace(h) ,
  Histore du maroc, Casablanca,1950
- Triki,
  Famines et epidemies au maroc,Hesp, tome xv,fascunique ,1973
- Voscocarblo,
  La dominarionportugues au maroc, losbonna, 1936
- Wittw,m.,
  Lebullespontificales et l,expansionportuugaise au xvesiècle,Revued,histoire ecclesiastique,1956

سادساً: المواقع الالكترونية:

محمد الماضي: ضريح سيدي وعدود بأزمور، مقال على الموقع الالكتروني (azemmourinf24.com). المطالعة، تاريخ ١٥/٨/٢٠١٨م